دفاتر نايا

عبد الفتاح رواس قلعه جي

دفاتر نايا

ثلاث مسرحيات

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٧م

دفاتر نايا: ثلاث مسرحيات / عبد الفتاح رواس قلعه جي.- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٧م.- ١٩٢ص ٢٠سم.

١- ٧٩٢.٠٩٥٦١ ق ل ع د ٢ – العنوان ٣- قلعه جي

مكتبة الأسد

مُقَدِّمَة

ثلاث مسرحيات تتناول في محاورها غريزة التملك ودورها في نشوء العنف، وبحث المرء عن يوتوبيا سحرية تعيد إليه فردوسه المفقود. كما تتناول المرأة في تاريخها ولغتها وطموحاتها.

والمرأة دائماً في هذه النصوص الثلاثة تأخذ مكانها في لوحة الحياة الإنسانية.

في مسرحية **«وليمة الشيطان»** تصل دعوة غامضة من مجهول لاقتسام تركة رجل مريض تنتهي بتمزيق واقتسام أوصاله كرمز لكل وطن تمزقه الصراعات ولا يصغي أحد لنداءات الأم الكبرى.

وفي مسرحية **«دفاتر نايا»** نطالع أوراق المرأة التي خسرت مملكتها في العصر الأمومي الرخيِّ المسالم وسادت مملكة الرجل

التي اتسمت بالعنف والقتل. وهذه الدفاتر تكتبها نايا مع قرينتها السحرية مايا، وهي تعيش بين الخرائب وبقايا وطن طالة التدمير.

وفي مسرحية **«يوتوبيا عين تسنيم»** نقرأ حلم الإنسان بمجتمع مأمول يتحقق فيه الأمن والسلام والحرية ورغد العيش، ولكن هذه الصفات أيضاً تجعله مجتمعاً سكونياً مرفوضاً، وهكذا يبقى الفردوس المأمول مجرد حلم يراود المخيلة الإنسانية.

وليمة الشيطان

دفاتر نايا

يوتوبيا عين تسنيم

وليمة الشيطان

مسرحية

الشخصيات

الرجل

المرأة

ذو الوجه الأرنبي

ذات الملاءة السوداء

ذو الذراع المبتورة

ذو اللحية الزرقاء

الرجل المريض

السيد نون

تابع نون

(المكان : قصر أثري قديم، على جدرانه ونوافذه وأبوابه نقوش وكتابات من مختلف العهود: مسمارية ورافدية ويونانية ورومانية، ومقرنصات عربية، وتتوضع في أركان من الجدران عبارة «لا غالب إلا الله» بالخط الأندلسي المغربي.

مقدمة المسرح تشكل باحة القصر الذي تجري فيه الأحداث. وفي الباحة شجرة عارية من الأوراق جذعها منخور. في ركن المسرح الأيمن سبيل ماء يعلوه رأس ثور مطلي باللون الذهبي وهو بفم مفتوح من المفترض أن يخرج الماء من فمه ولكن لا ماء والحوض جاف. وفي الركن الأيسر من المسرح جانب من كتلة مرتفعة تمثل جبلاً ترتفع من فوهته النار التي تعلو تارة وتنخفض أخرى وهو يقذف الغبار والرماد.

في وسط وعمق المسرح ستارة مسدلة بعرض متر ونصف تقريباً كالستائر التي توضع ليحضر المسؤول ويدشن مشروعاً ما، وأمام الستارة طاولة واطئة صغيرة (أو إفريز) وعليها كتلة من الطين ومجحاف في انتظار

حضور المسؤول للتدشين. وعليها أيضاً سكينان مدببتان مغروزتان على جانبي خشب الطاولة.

على خط المنظر وفي يمين المسرح تجلس امرأة في الأربعين تلبس الثياب البيض وتحزم شعرها بمنديل أبيض وهي منهمكة في غزل الصوف بمغزل يدوي نصفه أسود ونصف أبيض.

وفي مقابلها يسار المسرح على خط المنظر يجلس رجل في الخمسين يلبس الثياب البيض وعلى رأسه عقال وكوفيه وهو يعزف على الربابة ويغني بين الحين والآخر. وهما في حقيقة الأمر طيفان من عالم الموتى يراقبان الأحداث.

بقعة ضوء على الرجل وهو يعزف على الربابة ويغني، وأخرى على المرأة وهي تغزل الصوف).

- المشهد الأول -

الرجل : **(يعزف على الربابة ويغني)**

أوف.. أوف

يا ليلَى كيف أحوالِك بعِدْنا

فداك بروحنا وعنك بَعُدنا

.. **(المرأة تقاطعه قبل أن ينهي المقطوعة)**

المرأة : **(وهي تغزل)** ومَن ليلى هذه التي تفديها بروحك؟ أكنت تحب واحدة غيري؟ **(تقول ذلك من غير تأثر أو انزعاج أو عتاب).**

الرجل : ليلى مجرد اسم يتغنى به كل الشعراء، إنه مجرد وعاء تتصب فيه كلمات الأغنية، مثل الكأس بالنسبة للخمرة. هل انزعجت؟

المرأة : لا يغضبني أن تكون قد أحببت واحدة أخرى غيري. هنا في هذا الكون تمَّحي الأحقاد وعواطف الكره والغضب، ولكن غنِّ لي موّالاً آخر. يجب ألا ننسى شقاءنا الأول وإلا فقدنا وجودنا.

الرجل : حاضر.. **(يتذكر)** كانت أياماً صعبة، فقدنا كل شيء حتى البيت والأهل والوطن.. كانت أياماً علا فيها اللئام وهوى الكرام **(يعزف ويغني)**.

الدهرْ إن جادْ يُمنى يَرد يسراها **(اليد اليسرى)**
عالدّوم تلقى يسيراً حال يسراها **(اليسر)**
دأْبو يهين السبعْ والدُّون يسراها **(يسرّه)**
والوغد علاّه واخْفَض للرفيع جْناب
كم نوب أدعى الشهمْ بقيود يسراها(*) **(قيود الأسر)**

المرأة : كان صوتكَ يسكرني وأنت تغني في ظل شجرة التوت، كانت ثمارها حمراء بلون العندم.

الرجل : ثم جاء الطاعون فحصد الأرواح والشمس والنغمات العذاب. لا شيء يعلو على طبول الحرب.

المرأة : دعك من الأحزان، هنا مستراح المسافر.

الرجل : حسن. **(مداعباً)** ليلايَ.. ماذا تغزلين؟ هنا لا يوجد حر ولا برد.

المرأة : أغزل الليل والنهار، انظر **(تفتل المغزل)** لا الليل سابق النهار وكل في الشقاء غائصون.

الرجل : هُم.. أما نحن فقد خلصنا من الشقاء.

(تختفي بقعتا الضوء عنهما وترتفع قليلاً أنوار المسرح)

(*) موّال خمساوي من الأدب الشعبي.

- المشهد الثاني -

(سوف يدخل الممثلون الذين يطالبون بميراث الرجل المريض وهم أقارب وجيران وغرباء، جاؤوا من جهات الأرض الأربع، وجوههم مطلية بالماكياج الثقيل بحيث يشكل قناعاً (على الطريقة الصينية) ويأخذ القناع إن أمكن شكل ألقابهم التي سُميت بها شخوصهم، عدا المرأة ذات الملاءة السوداء والتي تمثل دور الأم فإنها تبقى بوجهها النضر الحزين.

ضربة موسيقية ويدخل ذو الوجه الأرنبي، وله وجه يشبه وجه الأرنب ويحمل بيده مغلفاً).

ذو الوجه الأرنبي: هذا هو المكان بالتأكيد، قصر وشجرة وستارة، الإحداثيات صحيحة، تُرى أين التَّركة التي تتحدث عنها الرسالة؟ **(ينادي)** هيه.. يا أهل هذا المكان.. يا أهل القصر.. هل يوجد أحد؟

الصدى : **(يسمع لندائه صدى تتلوه قهقهة)** هيه يا أهل هذا المكان.. يا أهل القصر.. هل يوجد أحد؟ **(صوت قهقهة).**

ذو الوجه الأرنبي: هذه القهقهة زيادة، كأن هذا المكان تسكنه الجن **(يتجه إلى سبيل الماء، يفتح الصنبور فلا ينزل منه ماء)** أكاد أموت من العطش ولا ماء، حتى الحوض

فإنه جاف، يبدو أن الماء مقطوع منذ زمن طويل. **(يبتعد ويفتح المغلف الذي في يده ويقرأ بصوت عال جانباً من الرسالة)** إذا وصلت فعليك أن تنتظر حتى يحضر الآخرون وإذا حضروا فعليكم أن تنتظروا السيد «نون» **(يقترب من المنضدة متفحصاً بعينيه ما عليها)** سكين، ومجحاف وطين.. ماذا يعني هذا؟ لعلي أجد في الرسالة ما يشرح لي ذلك **(يفتح الرسالة ثانية ويقرأ)** لا مساس حتى يحضر الجميع. **(يغلق الرسالة ويعيدها إلى جيبه ويجلس في ركن المسرح).**

(ضربة موسيقية وتدخل ذات الملاءة السوداء وهي امرأة جميلة في العقد الرابع من عمرها وجمالها من النوع الهادئ الحزين ترسل شعرها على كتفيها، وتلبس ثوباً أسود طويلاً ذيله يمتد فوق الأرض، وتضع شالاً أبيض على كتفيها).

ذات الملاءة السوداء: **(تتفحص المكان)** إنه المكان نفسه الذي رأيته في الحلم، يشبه قصر ماري أو قصر الحير أو قصر الحمراء. بَنى أولادي القصور ورحلوا.

(تخرج من جيبها شمعة تثبتها على الطاولة وتشعلها)

ذو الوجه الأرنبي : ماذا تفعلين يا امرأة ؟

ذات الملاءة السوداء: أشعل شمعة، هذا مكان مقدس.

ذو الوجه الأرنبي: ومن قدَّسه، أ لأن فيه رمز الثور؟ هذا مجرد سبيل ماء ولا ماء فيه. لعلك ظننته كنيسة أو معبداً لزيوس أو بعل. وهذا الثور ليس بعجل ذهبي له خوار؟

ذات الملاءة السوداء: كل مكان يبنيه أولادي هو مقدس، وأنا أشعل فيه شمعة.

ذو الوجه الأرنبي : ومن أولادك؟

ذات الملاءة السوداء: أولادي كثيرون: ملوك وسوقة، أحرار وعبيد، أمراء وفلّاحون، شرفاء وعَهَرَة، أتقياء وفَجَرة، أنبياء وملحدون، تجار وعمال، أغنياء وفقراء، قضاة ومجرمون.

ذو الوجه الأرنبي: وما الذي جاء بك إلى هنا أيتها الأم ذات الملاءة السوداء؟

ذات الملاءة السوداء: جاءني هاتفٌ في الحلم، حمامةٌ حطت على شجرة زيتونة في داري لا شرقية ولا غربية، وصف لي الهاتف المكان ودعاني للحضور.

ذو الوجه الأرنبي: وماذا قال لك الهاتف؟

ذات الملاءة السوداء: قال: ولدك مريض، وفي خطر، وهو في حاجة إليك. تركت داري وجئت مسرعة.

ذو الوجه الأرنبي: وأين هي دارك؟

ذات الملاءة السوداء: في كل مكان، وفي لا مكان، داري لا يحدُّها مكان ولا زمان.

وأنت يا وجه الأرنب ما الذي جاء بك إلى هنا؟

ذو الوجه الأرنبي: أنا.. وصلتني رسالة سلمها لي عابر سبيل في الليل، تدعوني للحضور.

ذات الملاءة السوداء: وماذا في هذه الرسالة؟

ذو الوجه الأرنبي: (يفتح الرسالة ويقرأ) احضر القسمة وانتزع نصيبك من تركة الرجل المريض.

ذات الملاءة السوداء: هل تعرف شيئاً عن هذا الرجل المريض أو عن الكنز الذي يخلِّفه؟

ذو الوجه الأرنبي: كلا.. لعله أحد أفراد العائلة.. إنها عائلة كبيرة منتشرة في جميع جهات الأرض، من الصعب أن يعلم المرء كل شيء عنها. وأنت هل تعرفينه؟

ذات الملاءة السوداء: كلا.. لعله أحد أبنائي. وهاتفي غير رسالتك، إنهما من مصدرين مختلفين.

ذو الوجه الأرنبي: هذا لا يهم، لقد تركت عملي في مبنى اتحاد الشركات التجارية العابرة للقارات وجئت مسرعاً. إنهم هناك يقرضون بأسنانهم الحديدية الأموال مثلما تقرض الأرانب الجَزَر، ثم يلقونها في بطونهم من غير أن يمضغوها. **(يضحك)**

ذات الملاءة السوداء: وهل أنت واحد منهم؟

ذو الوجه الأرنبي: كلا.. أنا أخزِّنها ثم أمضغها في أوقات الراحة، لديَّ معدة إضافية للتخزين كالخرفان والحيوانات المجترة **(يضحك لنكتته)** هل لديك فكرة عن التركة؟

ذات الملاءة السوداء: ليست لدي أية فكرة.

ذو الوجه الأرنبي: أقدر أنها ثمينة جداً. أنا أحضُر جميع المزادات في العالم، وأستطيع أن أشم رائحة الفائدة، لا بد أن تكون هذه ثمينة ومميزة.

ذات الملاءة السوداء: ليس هنالك ما هو أثمن من الإنسان نفسه، الإنسان سيد الكون ومعجزة الإله.

ذو الوجه الأرنبي: كثيراً ما تدور خلافات وخصومات وحروب حول التركات، الرجل المريض يحاولون أن يقسِّموه.. عفوا يقتسموا ثروته وهو على فراش الموت قبل أن يلفظ أنفاسه.

ذات الملاءة السوداء: وهذا ما أخشاه.

ذو الوجه الأرنبي: ليس من الضروري أن تكون التركة مالاً أو أثاثاً أو قصراً، قد تكون سلطاناً أو امرأة مثل هيلين التي فجرت حرب طروادة.

ذات الملاءة السوداء: أعلم ذلك، وقد تكون أوطاناً بجغرافياتها وجبالها وأنهارها وناسها.

ذو الوجه الأرنبي: الناس.. المواطنون البسطاء.. ليسوا في الاعتبار، ملكيتهم تنتقل إلى السيد الجديد، وإذا لم يعجبهم ذلك يستطيعون أن يموتوا أو يقتلوا أنفسهم أو ينزحوا أو يهاجروا، إنهم مجرد أثاث قديم لا قيمة له.

ذات الملاءة السوداء: يبدو أنك خبير في هذه الأمور، أنت خطير وتبعث على الخوف والقلق.

ذو الوجه الأرنبي: لا تقلقي يا سيدتي أنا مجرد قارض في مبنى كبير مهجور عشش فيه الفساد والإهمال فأصبح مليئاً بالقوارض.

ذات الملاءة السوداء: وتعرف نفسك؟

ذو الوجه الأرنبي: ومن منا لا يعرف نفسه، **(صمت)** لماذا تلبسين الأسود يا سيدتي؟

ذات الملاءة السوداء: أنا في حِداد دائمٍ على أولادي الذين يلقون مصارعَهم.

ذو الوجه الأرنبي: لكن الشال أبيض.

ذات الملاءة السوداء: فليكن حزننا مندّى بالبياض. الندى ليس غيثاً ولكنه تلويحه نديَّة للنبات.

ذو الوجه الأرنبي: أيتها المرأة التي تركت دارها وجاءت مسرعة. هل جئت لتحضري القسمة أيضاً؛ فالأم ترث؟

ذات الملاءة السوداء: أية قسمة، وأي ميراث؟ قلت لك: جاءني هاتف يقول: ولدك مريض وهو في حاجة إليك. الأم لا

تنتظر موت أولادها طمعاً في التركة. خرجوا مني وإلـيَّ يعودون.. كما تطلع البذرة من الأرض فتصير نباتاً فثمرة ثم تعود إليها بذرة لتطلع ثانية، البذرة تأخذ من الأرض حياتها وقوتها ولا تعطيها شيئاً.. كذلك أنا.. الأم يا ولدي هي روح الأرض التي منها خرجوا.

ذو الوجه الأرنبي: الأم هي روح الأرض! تتكلمين كلاماً عجيباً! **(كمن أدرك المغزى أخيراً)** ها.. فهمت.. أنا آسف، ولهذا تفوح منك رائحة الأرض، كان عليّ أن أدرك ذلك.

(ينحني باحترام ويعود إلى مكانه، وتنتحي ذات الملاءة السوداء ركناً آخر من المسرح وتجلس).

- المشهد الثالث-

(بقعتا ضوء على الرجل يعزف ويغني والمرأة تغزل الصوف)

الرجل:

مـا لُـومْ عينـي لـو بَكـت بطيحـة

ومـا لـوم الأخـرى لـو حَـدَر دمعهـا دم

علـى بـلادي وهَلـي هـالوجوه المليحـة

دوم ينهـضوا للهيجـا وخيـرهم عـم(*)

(إظلام)

(*) من قصيدة شعبية عن قصة الفتاة والعبد، من الأدب الشعبي.

- المشهد الرابع -

ترتفع أنوار خشبة المسرح. ضربة موسيقية ويدخل ذو اليد المبتورة، له وجه قط برّي، كفه الأيسر مقطوع عند الرسغ، ويحمل بيده اليمنى هاتفاً محمولاً يتطلع فيه وهو يتجول في المكان مستطلعاً، يقف تحت الشجرة).

ذو اليد المبتورة: هذا هو المكان بالضبط، مطابق للرسالة المصورة التي وصلتني، واجهة قصر أثري، وجبل ينفث النار، وشجرة عارية. لعلي أجد أحداً أتحدث إليه **(ينظر إلى الأرض)** هذه آثار أقدام. هذه أقدام امرأة وهذه أقدام رجل، لا شك أن هناك من وصل قبلي **(ينادي)** يا ناس.. يا هو و و..

(لا أحد يرد، يبحث في الهاتف المحمول ويقرأ) هذه هي الرسالة القصيرة: احضر القسمة، وعليك أن تنتظر السيد «نون» حتى تحصل على نصيبك.

رسالة غامضة، ما هي التركة، ومن هو السيد «نون»؟

(يصرخ) أنتما أيها الحاضران. إني أحس بوجودكما، لماذا لا تظهران، إن كنتما من الإنس أو الجن فاظهرا ولكما الأمان.

ذو الوجه الأرنبي: **(يبرز له)** ومن أنت حتى تعطينا الأمان؟

ذو اليد المبتورة: اقصر لسانك يا أرنب إذا كنت لا تعرفني.

ذو الوجه الأرنبي: أوه.. يبدو أنك شخصية هامة أيها القط البري، لعلك من عسس السلطان أو عيونه.

ذو اليد المبتورة: كلا.. لست من الشرطة ولا رجال الأمن. وقانا الله منهم ومن فسادهم.

ذو الوجه الأرنبي: **(ساخراً)** إذن لعلك ملك أو وزير.

ذو اليد المبتورة: كلا.. لست ملكاً ولا وزيراً. الملوك ينزلون عن عروشهم، والوزراء يصرفون من الخدمة.

ذو الوجه الأرنبي: **(ساخراً)** آ.. إذن لعلك تاجر له نفوذ كبير في الدولة أو ضابط من الحرس الملكي متمرس بفنون الحرب.

ذو اليد المبتورة: كلا.. لست تاجراً ولا ضابطاً، التجار أصبحوا ضباطاً فهم يقاتلون ويقتلون الناس بسلاح المال والربح الحرام، والضباط أصبحوا تجاراً ولم يعودوا يجيدون فن الحرب.

ذو الوجه الأرنبي: **(هامساً)** إذن لعلك أحد وجوه المعارضة المسلحة أو الموالين للنظام وقد أصبح حمل السلاح والقتل مهنة من لا مهنة له، ومورد رزق لمن لا عمل له.

ذو اليد المبتورة: أنا لست منها، ولا من عبيد السلطان، فأنا لي أعمالي وأفكاري.

ذو الوجه الأرنبي: لقد عجزت، قل لي من أنت أيها القط المحترم؟

ذو اليد المبتورة: أنا.. ذو اليد المبتورة، مواطن من الدرجة العاشرة **(ينفجران في الضحك).**

ذو الوجه الأرنبي: حسبتك شخصية هامة وخطيرة.

ذو اليد المبتورة: كل شيء هام وخطير عدا المواطن، حتى الذباب والبعوض أهم من المواطن في هذه المدينة. ألم تسمع بالمثل العربي الشهير: إن البغاث بأرضنا يستنسر.

ذو الوجه الأرنبي: وما الذي جاء بك إلى هذا المكان المهجور.

ذو اليد المبتورة: وصلتني رسالة على هاتفي المحمول يدعوني فيها السيد نون إلى الحضور.

ذو الوجه الأرنبي: وأنا أيضاً وصلتني رسالة مماثلة حملها إليَّ عابر سبيل طرق عليَّ الباب في منتصف الليل.

ذو اليد المبتورة: هل تعرف السيد نون؟

ذو الوجه الأرنبي: كلا.

ذو اليد المبتورة: قسماً بيدي المبتورة إنه لشخصية هامة جداً.

ذو الوجه الأرنبي: أو شخصية لا وجود لها إلا في رؤوسنا.. من يدري..؟

ذو اليد المبتورة: الأمر محيِّر فعلاً وبخاصة وأنه يدعو الجميع إلى انتزاع نصيبهم من تركة الرجل المريض.

ذات الملاءة السوداء: (تبرز لهم من مكمنها) عودوا إلى بيوتكم، هذه مكيدة، وستؤدي إلى صراعات دموية، الأمر خطير جداً، أحفظوا عليكم أنفسكم وعائلاتكم وأوطانكم.

ذو اليد المبتورة: ولكنكِ أنتِ حضرتِ لتشاركي في الوليمة.

ذات الملاءة السوداء: أنا لم أحضر لأشارك بشيء وإنما حضرت لأحذركم وأدعوكم إلى استخدام عقولكم والعودة إلى بيوتكم.

ذو الوجه الأرنبي: أنا لن أعود بعد أن تحملت مشاقة الطريق الطويلة.

ذو اليد المبتورة: وأنا أيضاً لن أعود. إذا عدت سأشعر بأنني ضحيت بيدي المبتورة عبثاً. **(يتجه نحو سبيل الماء ويفتح الصنبور).**

ذو الوجه الأرنبي: دعك من الماء، إنه مقطوع، واحكِ لنا كيف فقدت يدك؟

ذو اليد المبتورة: فقدتها في البحر.

ذو الوجه الأرنبي: وكيف حدث ذلك؟

ذو اليد المبتورة: القضية معقدة، كنت في البداية بحّاراً أحمل في مركبي مهاجرين غير شرعيين، وهاربين من بلاد نخرتها الحروب وساد فيها الفقر والخطف والموت والقتل على الهوية. كنت أحملهم من شواطئ الفقر والفتن إلى شواطئ الأمن والغنى. كنا نتقاضى منهم أموالاً طائلة، ونحشو

مراكبنا بما يفوق حمولتها من الناس والعتاد، أو أن هذه المراكب تكون عتيقة وغير صالحة للإبحار فيغرق الكثير منهم، حتى أصبح البحر مقبرة لهم، ولم نكن نأسف على أحد مادمنا قد وضعنا أجرته في جيوبنا، وأحياناً يطول بنا الطريق ويثور البحر فنرميهم في أقرب جزيرة وغالباً ما تكون غير مأهولة.

ذو الوجه الأرنبي: قلت القضية معقدة وقد سمعنا قسمها الأول، اختصر واحك لنا النهاية.

ذو اليد المبتورة: أصابتني صحوة ضمير فتركت العمل في هذه المراكب وصرت صياداً، وذات يوم اصطدت سمكة كبيرة وربطتها بالقارب فهاجمتني أسماك القرش تنهش من هذه السمكة وأنا أضربها بالمجداف تارة وبحربة طويلة تارة أخرى وانتهى الأمر بأن قضمت سمكة قرش على غفلة مني يدي.

ذات الملاءة السوداء: يا بني أنت تكذب، هذه قصة الشيخ والبحر لهمنغواي، ثم إنك جئت من بلد لا بحر فيه فكيف صرت بحاراً؟

ذو اليد المبتورة: أوه.. صحيح.. ربما قرأتها فتأثرت بها، كان يجب أن أكون كاتباً فخيالي واسع، يا سيدتي ما يحدث اليوم من دمار وقتل وإفناء للجنس البشري هو ضرب من الخيال فلماذا تلومينني على مخيلتي.

ذو الوجه الأرنبي: إذن احك لنا قصتك من غير خيال.

ذو اليد المبتورة: كنت معلماً في مدرسة وكنت أخرِج لطلابي مسرحية عن الاستقلال، وأردت أن تكون المعركة مع العدو فيها حية فانفجرت في كفي بالخطأ كمية من البارود فصارت كما ترونها الآن.

ذات الملاءة السوداء: وهذه أيضاً حكاية رجل عالم نعرفه جميعاً(*).

ذو الوجه الأرنبي: لقد مارسْتَ هوايتك في الخيال فهات الحقيقة الآن.

ذو اليد المبتورة: آه.. قصتي أغرب من الخيال، لو كتبت بالإبر على آماق البصر، لكانت عبرة لمن اعتبر(**).

ذو الوجه الأرنبي: هذه بدايات قصص ألف ليلة وليلة، قلنا أعطنا الحقيقة يرحمك الله.

ذو اليد المبتورة: (مازحاً) حاضر يا مولاي..

كنت في قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغَداً برغم ما فيها وفي مخاتيرها من هنات، مدنها عامرة، وشواطئها آمنة، فكفرت بالنعم، ثم عصفت رياح الفتن فيها، وهاج البحر وأزبد بها

(*) هذا ما حدث مع علاّمة حلب حين كان يخرج للطلاب مسرحية استقلال أمريكا ليحرضهم على مقاومة الانتداب الفرنسي في سورية.

(**) عبارة تراثية تقدم بها بعض قصص ألف ليلة وليلة أو القصص الشعبي.

وبمراكب القرى من حولنا، قُسِّمت البلاد وأُذِلَّت العباد، ودخل على قريتنا رجال لهم لحى زرقاء طويلة وثياب غريبة صاروا حكامنا وادَّعوا بأن حكمهم هو الحكم الصحيح، نهبوا الآثار وفجروا المعابد والتماثيل القديمة، وأحرقوا المكتبات، ثم اتهموني بالسرقة وقطعوا يدي، واتهموا صديقاً لي بأنه يدخن السجائر فقطعوا إصبعيه الوسطى والسبابة، وذبحوا وحرَّقوا آخرين بدعاوى مختلفة.

ذات الملاءة السوداء : إذن فقد سَرقت.

ذو اليد المبتورة : مجرد تهمة يا سيدتي.

ذو الوجه الأرنبي : لا دخان بلا نار.

ذات الملاءة السوداء : ولا نار بلا دخان.. يجب أن نصدق جانباً مما يقول.

ذو الوجه الأرنبي: لقد أرهقنا هذا الرجل بحكاياته، دعونا نخلد إلى الراحة قليلاً في انتظار السيد نون.

(إظلام)

- المشهد الخامس -

(بقعتا ضوء على الرجل وهو يعزف على الربابة والمرأة تغزل وتغني).

المرأة:

لا يــا حكــيم الجــاي لا تلمـــس لإيـــدي
مــاش نبــضي ينبيـك روحـــي بوريـــدي(*)

الرجل : عندما سمعتك تغنين هذه الأبيات خلعتِ عقلي فخطبتك من أهلك. هل هي من نظمك؟

المرأة : طبعاً هي من نظمي.

الرجل : وماذا يسمى هذا النوع من الشعر والغناء؟

المرأة : لم تسألني من قبل هذا السؤال، يسمى نظم البنات.

(تستمر في الغناء والرجل يعزف لها).

يا الخْدِتْ روحي ويّاك ردّ روحـــي ليّـــه
خــوفي مــن النمّــام يـــشمّت بيَّـــه

(تنهي الأغنية ويتوقف عن العزف).

الرجل : أما زال الحب كما كان ونحن الآن في خريف العمر.

المرأة : الحب الحقيقي عصيٌّ على الزمن، إنه لا يهرم. هذا هو الحب الذي يلوي الذراع، ويكسر الركب.

الرجل : لو ينعكس مثل هذا الحب على الحياة العامة والعلاقات الإنسانية فلا يختصمون ولا يقتتلون ولا يؤذي أحدهم الآخر.

(*) نظم البنات أو الدارمي من الأدب الشعبي الفراتي الغنائي.

أعجب كيف يمكن أن يجمع الإنسان في قلبه مثل هذا الحب الذي جَمَعنا مع كره شديد لأخيه الإنسان. لقد فقدنا فردوسنا الأول.

المرأة : في العصر الأمومي كان الناس متحابين تقودهم المرأة وهي الأم والزوجة والأخت في آن معاً بكل ليونتها وعطفها، كانت رحماً حانياً للبشرية كلها، ولما جاء العصر الذكوري وأزيحت المرأة عن عرشها ذهب ذلك الفردوس وبدأ القتل والكره والحروب وشراسة الامتلاك.

الرجل : هل من سبيل للعودة إلى ذلك العصر.

المرأة : لا سبيل إلى ذلك، لقد قضي الأمر، وليس لنا إلا أن نكون متفرجين على مسرحيات القسوة هذه.. نتفرج ونراقب.

(إظلام)

- المشهد السادس -

(ترتفع إضاءة المسرح.

ضربة موسيقية ويدخل رجل له وجه حوّاري ميت اللون وهو يشبه شكل التيس، أذناه طويلتان متهدلتان، شعره طويل أزرق مجدول سبع جدايل تصل إلى أسفل ظهره. لحيته زرقاء كثة مَجْدولة في نهاياتها ثلاث جدايل وتصل إلى أسفل بطنه، يرتدي سروالا

فضفاضاً وثوباً سميكاً يصل إلى ركبتيه، ويضع على رأسه قبعة صغيرة ضيقة زرقاء (عرقية)، ثيابه كلها زرقاء، ويضع في عُبِّه كتاباً أزرق، ويتقلد سيفاً على جنبه.

يدخل باندفاع شاهراً سيفه وهو ينشد).

ذو اللحية الزرقاء:

بيضٌ صنائعنا خُضرٌ مرابعنا — سودٌ وقائعنا حمرٌ مواضينا

هل من مبارز، هل من مُناجز؟

ذو اليد المبتورة: يخرب بيته، إنه يدخل والشر باد في عينيه.

ذو الوجه الأرنبي: هيه.. أنت.. يا ذا اللحية الزرقاء، هذه ليست ساحة حرب، أغمد سيفك وقل ماذا تريد؟

ذو اللحية الزرقاء: أريد أن أتوضأ أولاً. **(يخطو خطوتان نحو سبيل الماء).**

ذو الوجه الأرنبي: الماء مقطوع، وثانياً؟

ذو اللحية الزرقاء: **(يغمد السيف ويعود)** ثانياً أريد كامل التركة.

ذو الوجه الأرنبي: كامل التركة**!؟** وكيف علمت بها؟

ذو اللحية الزرقاء: قرأت عنها في هذا الكتاب **(يخرج الكتاب من عبّه ويقلب على صفحة معينة) إنها مذكورة هنا. يقرأ قراءة منغمة كما في القدّاسات).**

فإذا جاء وعد الرب ودعاك السيد نون فعليك أن تجيب داعي النداء، فإذا وصلت القصر قبل العصر، فإن الرب يعطيك القصر ومن فيه، والتركة ومن عليها، بشرط ألا تغمد سيفك قبل أن يفنى كل أعدائك، ويصبح جميع الناس خدماً لك.. آمين.

ذو الوجه الأرنبي: أعد كتابك إلى عُبِّك، هذا لا ينفع هنا. وتعال نفكر جميعاً أين يمكن أن تكون تركة الرجل المريض؟ وما هي؟ ومتى يحضر السيد نون؟

ذات الملاءة السوداء: أنصحكم للمرة الأخيرة كفوا عن التفكير في هذا الأمر وعودوا إلى دياركم.. إنه من عمل الشيطان وما كان الشيطان لكم ناصحاً.

ذو اللحية الزرقاء: ومن هذه المرأة السافرة الكافرة عليها اللعنة؟ تحجبي يا امرأة.. ثم.. ثم كيف تخرجين إلى الشارع وتجيئين إلى هنا من دون مُحرم؟

ذو الوجه الأرنبي: اقصر لسانك واحترم النساء، هذه جاءت بهاتف مثلما جئنا ولكنها لا تريد أن تشاركنا في التركة وهي تقول: إنها أمنا جميعا. إنها روح الأرض التي منها خرجنا جميعاً وإليها نعود.

ذو اللحية الزرقاء: روح ماذا؟ روح الأرض!؟ هذا كفر آخر وزنى بالكلمات وتستحق هذه المرأة أن تجلد ألف جلدة.

ذو اليد المبتورة: يا وجه التيس، أليس لديك غير القتل والجلد وقطع الأيدي والأصابع؟

ذو اللحية الزرقاء: هذه حدود الله.

ذو اليد المبتورة: عليك اللعنة، يا ذا الجدايل الكافرة الخادعة، الله منكم براء، وأحسب أنك أنت أو واحداً مثلك قطع يدي ظلماً.

ذو الوجه الأرنبي: يا جماعة، كفى مشاحنات ودعونا نفكر في ما يجب أن نعمل.

ذات الملاءة السوداء: لقد دعوتكم إلى ما فيه سلامتكم وخيركم وأبيتم أن تعودوا إلى بيوتكم، سأعتزلكم ويحزنني أن دماء ستسيل إن لم تحكموا عقولكم.

(تتجه نحو سبيل الماء وتفتح الصنبور فيتدفق الماء، تغسل وجهها وتخرج).

ذو الوجه الأرنبي: هذه معجزة، أقسم بأن الماء كان مقطوعاً **(يتجه نحو السبيل ويفتح الصنبور فلا يتدفق منه الماء).**

ذو اليد المبتورة: **(يتقدم وينظر في الحوض)** الحوض جاف، كيف لم يبلله الماء، أكاد أجن. هذه المرأة إما ساحرة أو من أهل الله.

ذو الوجه الأرنبي: هذه مياه الأنوار يا جاهل، ألم تقرأ كتب المتصوفة؟

ذو اللحية الزرقاء: المتصوفة كلهم كفار يجب سلخ جلودهم وقطع رؤوسكم وصلبهم كما صلب الحلاج الزنديق عليه لعنة الله. ولكن دعونا من حديث الكفر ولنعد إلى موضوعنا، هل علينا أن ننتظر حتى يحضر السيد نون؟

ذو الوجه الأرنبي: أظن ذلك، لابد أن نبقى في انتظار السيد نون.. أنا أَقْدَم منكم في هذا المكان وأعرِف أكثر.

ذو اليد المبتورة: وإذا لم يحضر هل ننتظره إلى الأبد؟

ذو الوجه الأرنبي: سنرى ما يجب فعله ونتصرف حسب الظروف.

ذو اليد المبتورة : ومن هو السيد نون، هل لديك أية فكرة عنه؟

ذو الوجه الأرنبي: لعله هووو(*) أو أحد الأولياء الصالحين من أهل الستر والخطوة.

ذو اليد المبتورة : أو لعله القدر، أو الموت.

ذو الوجه الأرنبي: أو البحر؛ نون يعني بحر.

ذو اليد المبتورة: أو رجل مجنون أو شرير يرسل الرسائل يمنة ويسرة ويدعو الناس إلى ولائم الوهم.

ذو الوجه الأرنبي : وما أظنه إلا الشيطان نفسه.

(*) هووو: كناية لفظية عن اسم الله عند المتصوفة.

ذو اللحية الزرقاء: (شاهراً سيفه) اخرسا، أنتما تسخران وتجدّفان. السيد نون **(يصمت)** هو السيد نون. لابد أن يكون مولانا ومرشدنا وإمامنا الأكبر، ومن ينكر ذلك فهو مرتد، وعنق المرتد بالسيف تُحَدّ. **(يهز سيفه مهدداً).**

ذو اليد المبتورة: اغمد سيفك أيها المجنون. السلاح في يد الصرصار يجرح.

ذو اللحية الزرقاء: هل أنا صرصار يا أقطع؟

ذو اليد المبتورة: أنا لم أقل ذلك، آسف هذا مجرد مثل شعبي.

(يعيد ذو اللحية الزرقاء سيفه إلى غمده).

ذو الوجه الأرنبي: اسمعا، وردتني فكرة، اسمه ذو النون، أو السيد نون، لعل الحوت التقمه كما التقم النبي يونس من قبل ولم يلفظه البحر بعد فوق الشاطئ.

ذو اللحية الزرقاء: أحذرك، أنت مازلت تجديف وتسخر.. كن مؤدباً وجاداً وإلا.. **(يضع يده على مقبض السيف مهدداً).**

ذو الوجه الأرنبي: حسن، أنت يا أزرق، افتح كتابك، هل تجد فيه ما يشير إلى مكان الكنز؟

ذو اللحية الزرقاء: لا بد أن أجد فيه ما يشير إلى مكانه، هذا كتاب جامع مانع مؤلف منذ آلاف السنين كان ولم يكن معه شيء **(يخرج الكتاب ويقلب صفحاته ويتابع رفيقاه النظر في الكتاب)** انظرا، لقد وجدته، هذا هو النص **(يقرأ قراءة منغمة كما في القداس):**

إذا وصلت القصر قبل العصر فاحرص على ألا تفوتك شاردة ولا واردة، وبَوادِه الرب كثيرة(*)، وقد يحضر ذو النون في واحدة من تلك البواده، فإذا متع النهار ومالت الشمس للغروب ولم يحضر ذو النون فأزح الستارة ليتكشَّف لك الكنزُ تركةُ الرجل المريض. إني أنا الرب أهبك المال والأرض والجسد.

ذو الوجه الأرنبي: لم أفهم شيئاً من هذه الأسرار التي قرأتها، ولكن كيف لم نفطن إلى أن هذه الستارة تخفي وراءها الكنزَ تركةَ الرجل المريض؟

ذو اليد المبتورة: لقد صرَفَنا عنها أنا كنا ننتظر السيد نون فلم نبحث في المكان.

ذو الوجه الأرنبي: دعونا نفتح الستارة وننتهي من هذا الأمر.

ذو اللحية الزرقاء: هذه الستارة لا تفتح إلا بتلاوة كلمات مرصودة.

ذو اليد المبتورة: تقصد.. افتح يا سمسم.. يا سلام هل هي مسرحية للأطفال؟

ذو الوجه الأرنبي: نحن الأربعون حرامي فمن علي بابا؟

ذو اليد المبتورة: هو السيد الذي ننتظره.

(*) تعبير صوفي لما يرد على الخاطر بالحدس الصوفي.

ذو اللحية الزرقاء: كفى سخرية.. قفا ورائي، سر الستارة في هذا الكتاب، سأقوم بفتحها.

ذو اليد المبتورة: لا بأس، فلنجرب هذا الهراء.

(يقفان وراء الأزرق، يفتح الكتاب ويتلو عبارات غامضة بتنغيم معين).

ذو اللحية الزرقاء: همم.. حتى إذا.. م م م.. جاؤوها.. هم م م.. وفتحت أبواب ال.. هم م م م.. جحيم.. وقيل.. ادخلوا.. هم م م.. في الدماء.. دم دم م م ..

ذو اليد المبتورة: ألا تفتح الستارة إلا بالدماء؟

ذو اللحية الزرقاء: اخرس ولا تفسد عملي. **(يتلو العبارات التالية بتنغيم)** دم.. دم م م **(يغلق الكتاب)** افتحي يا ستارة، إني وهبت لك الجسد والدم والروح... افتحي.. افتحي.

(الستارة تنزاح ببطء وتحت إضاءة خاصة تكشف عن رجل مصلوب مازال فيه بقية حياة لكنه فاقد النطق والحركة).

الجميع: (مندهشون) أوه.. رجل مصلوب!؟

ذو الوجه الأرنبي: (يتفحصه) مازالت فيه بقية حياة. من يعرف هذا الرجل؟

ذو اليد المبتورة: من يدري؟ لعله أخ لنا، أو أحد أبناء عمومتنا.

ذو الوجه الأرنبي: أو أبونا أو جدنا الأكبر.

ذو اللحية الزرقاء: هذا رجل حليق، لا لحية له، لا ينتسب إلينا.

ذو الوجه الأرنبي: فليكن من يكون.. هذا هو الرجل المريض فأين التركة؟

ذو اليد المبتورة: لقد خُدعنا.

ذو اللحية الزرقاء: مهلاً.. **(يتطلع في الكتاب)** الكتاب يقول: امسحوا على عيونكم لتروا من جديد وتعرفوا ما يَخفى عليكم.

(يمسح ذو الوجه الأرنبي على عينيه ويقف على منصة مرتفعة قليلاً على خشبة المسرح).

ذو اليد المبتورة: ماذا ترى يا أرنب؟

ذو الوجه الأرنبي: إني أرى قمراً أسود يخرج عن مداره، وأرى شمساً منطفئة تبتلع أولادها. وأرى سهولاً تشتعل فيها النيران، وجبالاً تميد وتفقد وزنها فهي كالعهن المنفوش، وأرى شواطئ ملأى بجثث الحيتان والأسماك يقذفها البحر إلى اليابسة، وأرى أنهاراً وبحاراً وقد سُجِّرت.

وأرى دولاً تقسم، وحدوداً ترسم. وأرى الجن والشياطين بلحاهم الطويلة يسرحون ويمرحون في خرائب القرى.

(ينزل من المنصة ويصعد ذو اليد المبتورة ويمسح على عينه).

ذو الوجه الأرنبي: ماذا ترى يا أقطع؟

ذو اليد المبتورة: أرى الناس يحشرون وما من قيامة، ويعذبون وما من حساب.

وأرى مدناً خاوية من سكانها، ومهاجرين على الطرقات مشردين جائعين، ونازحين من بيوتهم محزونين.

وأرى المياه مقطوعة، والنيران مطفأة، والقدور فارغة.

وأرى أطفالاً يتضاغون، ونساء يغتصبن، ورجالاً يسحلون. **(ينزل).**

ذو اللحية الزرقاء: (بسرعة وقوة وهو في مكانه واضعاً يده على مقبض سيفه) إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها.

ذو الوجه الأرنبي: مهلاً أنت لا ترى شيئاً، هذه خطبة الحجاج، اصعد إلى المنصة وأعطنا رؤياك يا أزرق وكن صادقاً.

ذو اللحية الزرقاء: (يقف على المنصة ويمسح على عينيه) إني أرى عصا الراعي تلتهم جميع العصي وتبطل سحرها. وأرى نساء كاسياتٍ عاريات -عليهن اللعنة- مائلات مميلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت.

وأرى الأَمَة تلد ربَّتها، ورجالاً يتطاولون في البنيان، والبدانةَ والأرياف والرعاة يغزون المدن العامرة فيحيلونها خراباً.

وأرى جثة على قارعة الطريق تأتيها الضباع من كل جهات الأرض تتناهشها.

وأرى.. وأرى أهوالاً لا يدركها وصف ولا تحيط بها عبارة..

يا لها من مشاهد تسر القلب **(ينزل).**

ذو الوجه الأرنبي: كفى.. كفى.. فلنمسح على أعيننا مرة أخرى ولنخرج من هذا الكابوس.

(يمسحون على أعينهم ويهدؤون).

ذو اليد المبتورة: لقد عادت الرؤية كما كانت، رجل مريض مصلوب.

ذو الوجه الأرنبي: وتركة زائفة.

ذو اللحية الزرقاء: هي ملكي أنا.. أنا أعرف كيف أستخرج كنوزها. **(ينهمك في مطالعة كتابه).**

ذو الوجه الأرنبي: هل سمعت؟ إنه يعلم أن وراء هذا المصلوب إرثاً كبيراً ويريد أن يستأثر به، وهو يعرف كيف يجده بكتابه هذا.. لكن.. لدي فكرة: ربما جسمه هو الكنز.

ذو اليد المبتورة: مهما يكن فإننا لن نسمح له بذلك، سنتقسمه سوية، ربما يأتي من يطالب بأجزائه فنصبح أغنياء.

ذو الوجه الأرنبي: وماذا نفعل بأجزائه؟

ذو اليد المبتورة: نبيعها لمن يشتريها بعد أن يتخلى الأزرق عن نصيبه، وإذا لم تُبع فإننا نجمعها ثانية ونعيدها إلى الحياة كما فعلت إيزيس حين جمعت أجزاء حبيبها أوزوريس، نضع له لحية ونبيعه قديساً **(يضحك لنكتته).**

ذو الوجه الأرنبي: ولماذا تضحك؟ إنها فكرة جيدة. هل تعلم أن بعض الدول التي تحترم مواطنيها وتعتبر المواطن هو القيمة الكبرى في الدولة تقوم في الحروب بمبادلة جثة مواطن لها تقع في يد العدو أو بعض أجزاء جسده بمئات الأسرى، أو تدفع لتستعيده مبالغ طائلة.

ذو اليد المبتورة: نحن هنا نسمع بهذا ونعتبره ضرباً من الخيال.

ذو اللحية الزرقاء: بماذا تتهامسان؟

ذو اليد المبتورة: لا.. لا شيء.

ذو اللحية الزرقاء: **(يغلق الكتاب)** هيا.. عليكما أن تساعداني، سأنزل البضاعة وآخذها معي وسأكتشف من خلال تحليلها كل شيء.

ذو اليد المبتورة: ما هذه اللغة، بضاعة وتحليل وتأخذها أنت.. ونحن؟

ذو اللحية الزرقاء: إنها تخصني وأنتم لا شيء.

ذو الوجه الأرنبي: لا تأمل يا أزرق فإنما يمنّيك الشيطان.

ذو اليد المبتورة: تريد أن تستأثر بكل شيء وأنت الذي جئت متأخراً.

ذو الوجه الأرنبي: أنت لست منا، وجهك لا يشبه وجوهنا، وثيابك غريبة.

ذو اللحية الزرقاء: **(يشهر سيفه)** هي لي وقد أعطانيها الرب.

(الآخران يتناولان السكينين ويأخذان وضعية الحذر).

ذو اليد المبتورة: فلنهدأ ونتفاهم، لا أريد أن أفقد يدي الأخرى، دعونا نعمد إلى القسمة بالتساوي، أنا آخذ الذراعين والكتفين.

ذو الوجه الأرنبي: وأنا آخذ الساقين. وأعضاء الذكورة.

ذو اليد المبتورة: وأنت يا أزرق خذ الرأس فهوايتك المفضلة هي قطع الرؤوس.

ذو اللحية الزرقاء: لن يحصل أي منكم على شيء، أنتم مجرد خدم لي، والعبد لا يرث السيد، وليس بيننا غير حد السيف.

(يهجم عليهما وتبدأ معركة بين الثلاثة، تخبو الأنوار وترتجف إيحاءً بقسوة الصراع وشدته. يسمع عن بعد أصوات مدفعية وقصف بالطيران وتفجيرات، ثم يسود الظلام وتختفي الأصوات ويسمع في العتمة ثلاث صرخات ألم متتابعة: صرخة أولى ثم اثنتان في آن واحد، ثم يسود السكون التام.

تحت الإضاءة الخافتة وفي خلفية المسرح يعبر رتل من الناس مختلفي الأعمار والأجناس، متعبين ومجهدين بثياب رثة وشعر منفوش، يحملون أثقالاً على ظهورهم أو على عربات صغيرة يجرونها، ومنهم من يحملون أولادهم).

(إظلام)

- المشهد السابع -

(ترتفع الإضاءة، جثث الثلاثة مرمية على الأرض، وتتناثر على الأرض أيضاً أجزاء الرجل المريض، أما القلب فيبقى معلقاً مصلوباً على خشبة الصلب.

يفتح باب من أسفل جبل النار ويدخل السيد نون وتابعه متجهين نحو الطاولة الصغيرة (أو الإفريز). نون يضع على وجهه قناعاً حقيقياً بشكل ذئب وينتهي بقرنين صغيرين لا يكادان يظهران، ثيابه صفراء ذات لون منطفئ، وعلى كتفيه عباءة أو مشلحاً أزرق طويلاً ينسحب ذيله على الأرض، وهو يحمل بيده لفافة قماش أو ورق هي خارطة جغرافية .

التابع بقناع وجه قرد يرتدي ثياباً زرقاً، ويحمل على ظهره جعبة كجعبة السهام فيها لفافات خرائط عديدة).

السيد نون : حدث كما مرسوم، نحن نرسم خرائط العالم **(يأخذ المجحاف وقطعة الطين ويثبت لافتة تنكارية)** إننا نرث الأرض ومن عليها. **(يشير إلى الستارة فتنغلق، يفتح الخارطة التي في يده ويقول لتابعه)** هذا هو الهدف التالي، اكتب رسائل جديدة وأرسلها. **(يشير إلى القلب المصلوب الذي يضيء وينبض بشدة)** فجر هذا القلب قبل أن تخرج. **(يخرج)**

(التابع وقبل أن يخرج من الباب الذي دخل منه يقف أمامه وبيده جهاز تحكم، يضغط عليه فينفجر القلب، صوت انفجار هائل ثم يظلم المسرح).

- المشهد الثامن -

(ترتفع الإضاءة، الجثث الثلاث تكون قد اختفت وبقيت على الأرض أشلاء الرجل المصلوب، الشمعة على الطاولة اختفت أيضاً وبقي عليها المجحاف والطين وسكينان مغروزان فيها.

الستارة مسدلة في انتظار تدشين آخر.

تدخل ذات الرداء الأسود وبيدها سلة، تتجول في المسرح وتجمع أشلاء الرجل المصلوب)

ذات الرداء الأسود: لقد حذرتهم، كنت أعلم أن هذا سيحدث، وفي كل مرة تكون هنالك دماء وخسائر جديدة.

سأجمع الأشلاء الممزقة وأعيده إلى الحياة، كان لي الابن والزوج والأخ والوطن. **(تدمع عيناها).**

كيف لا تدمع العين ويحزن القلب..؟ إنه ولدي وأخي وحبيبي ووطني.

(تنهي جمع الأشلاء) بقي القلب، إنه غير موجود، لقد فجروا القلب **(في حزن وحسرة)** لا بأس ستعود إليه الحياة ولكن ستكون بلا قلب.

(إظلام)

- المشهد التاسع -

(بقعتا ضوء على الرجل يعزف ويغني لحناً حزيناً والمرأة تغزل الصوف).

الرجل :

خلِّ عيني بهواهم تسيل ما دم **(ماء ودم)**
حزينة واللي يسرّها أوياي ما دم **(لم يدم)**
ما الخنسا بونيني عليكم ما دم **(ما آدم)**
على حوّا ولا البو عا مريه(*)

- النهاية -

حلب ٢٠١٥/٧/٤
١٧/رمضان/ ١٤٣٦

(*) الأبيات من الأبوذية وهي لون شعري غنائي فراتي.

دفاتر نايا

مسرحية

إهداء

إلى نايا

التي عرفتها صغيرة ندية

ورأيت صورتها كبيرة صبية

يا للزمن الوامض!

إلى أين يسير هذا النهر الذي لا يتوقف عن الجريان؟

الشخصيات

مايا: صديقة نايا من طبيعة أخرى

نايا: وتؤدى أيضاً أدوار: **عشتار**

دليلة

لونا

شجرة الدر

شخصيات دفتر عشتار:

عشتار

مايا

تموز

إيفا

جَنان

شخصيات دفتر دليلة:

القاصود

زوج دليلة

دليلة

مايا

شخصيات دفتر لونا:

رجال سود

لونا

الطبيب

مايا

شخصيات دفتر شجرة الدر:

الراوي

شجرة الدر

مايا

فخر الدين يوسف

ركن الدين بيبرس

المستعصم بالله

العز بن عبد السلام

أمير مملوكي

فلاح مصري

الملتحي

(بيت منفرد عن البلدة أو القرية، خرب، جدرانه متداعية، ولم يبق فيه سليماً إلى حد ما سوى غرفة متشققة الجدران ومطبخ، سقف الغرفة مائل يكاد يسقط، وتتناثر هنا وهناك بعض الأحجار الناتجة عن التهدم. وعلى الرغم من ذلك فإن البيت نظيف ومعتنى به، وثمة أصيصان أو ثلاثة للزهور وشجر الزينة.

على امتداد النظر تمتد بيوت مبنية من الطين أو الحجر، أما الطينية فمنها ما هو عادي، مستطيلة أو مربعة، ومنها ما هو على شكل قباب طينية كالتي تبنى منذ مئات السنين، وهذه البيوت خالية تماماً من السكان، حتى إنك لا ترى حيواناً يسير خلالها.

في الخلفية تمتد بحيرة ملحية، وليس هنالك من يعمل فيها ويستخرج الملح المتجمع في أطرافها.

لا شك أن المكان يبدو وكأنه قد أصابته كارثة ما: زلزال طبيعي، أو تعرض لقصف، وثمة آثار لمعارك سابقة، مهما يكن فإن المكان أصبح مهجوراً تماماً وموطناً للجن.

صمت تام، ثم يبدأ صوت الرياح مختلطاً بعزيف الجن وثرثراتهم غير الواضحة. يستمر ذلك فترة ثم يسود الصمت مرة أخرى.

تخرج من بين خرائب الدار «مايا» وهي فتاة جميلة تلبس ثوباً من الريش ذا لون أحمر ناري مرقط بالأسود، ولها في جانبيها

جناحان صغيران من الريش، تُحلّي ساعديها العاريين بأساور من الأصداف والخرز الملون الجميل، وعلى صدرها تتدلى قلادة من اللؤلؤ. هي في الحقيقة جنية ونموذج للجمال والوداعة والمرح.

تقف أمام الغرفة وتخرج من جيبها صناجتين صغيرتين تضعهما في إصبعيها)

مايا : **(تصنج بالصناجتين وتصوت بفمها)** تس تس.. تس تس.. **(تصنج)** تس تس.. تس تس **(تصنج وتكرر ذلك مرات عدة، وعندما تجد أن لا أحد يرد تتناول حصاة صغيرة وتقذف بها نافذة الغرفة، تتحول الحصاة إلى عصفور يقف على النافذة ويزقزق.**

تخرج نايا في قميص النوم وهي تفرك عينيها من أثر النوم. الفتاتان في عمر واحد، في العشرينات تقريباً، وتشبهان بعضهما بعضاً كأنهما توأم حقيقي).

نايا : لماذا توقظينني باكراً يا مايا؟

مايا : لقد متع النهار يا نايا وأنت لا زلت نائمة، الشمس كادت تتوسط السماء.

نايا : أوه.. صحيح.. لا يوجد ساعة في البيت، وقد سهرت أمس حتى مطلع الفجر.

مايا : وماذا كنت تفعلين؟

نايا : أكتب وأطالع في دفاتري.

مايا : ألم نكتبها معاً؟ بيننا عِشرة دهر يا نايا.

نايا : أعلم ذلك **(تبتسم)** ولكنني أحب أن أخص نفسي بأشياء لا تطلعين أنت عليها، أكتب أحياناً بين السطور.

مايا : **(تضحك)** لا تستطيعين أن تخفي عني شيئاً يا نايا، فأنا شقيقتك وقرينتك، نشأنا وعشنا معاً ولا نزال.

معاً فرحنا وتألمنا، ضحكنا وبكينا، سعدنا وشقينا، تعلَّمنا معاً ولعبنا.

معاً كنا ولا نزال فكيف تظنين أنك تستطيعين أن تخفي عني بعض ما في نفسك وأنا في داخلك؟

نايا : **(تبتسم)** أنا أحاول يا صديقتي اللذيذة.

مايا : لذيذة !

نايا : نعم، لذيذة، هذه صفة تفوق كل وصف آخر أحبّه.

مايا : يا لك من شقيقة رائعة.

نايا : أراك تلبسين الريش، يبدو أنك كنت على سفر.

مايا : أنا دائماً على سفر. كان عليّ أن أقابل أخي.

نايا : لم تقولي لي من قبل إن لك أخاً.

مايا : إنه يكبرني، ويهوى الإقامة في الجزر البعيدة حيث الهواء والشمس والسلام، والأمسيات السحرية في ضوء القمر.

نايا : يبدو أنه شاب رومانسي، ما كنت أظن أن بينكم رومانسيون.

مايا : الرومانسية نزعة مشتركة بين الثَّقلين، الملائكة وحدهم لا يكونون رومانسيين، إنهم من طبيعة النور الباردة والهادئة. ولا تنسي أن أخي شاعر وله ديوانان من الشعر في الغزل ووصف الطبيعة، ويكتب الشعر الغنائي بالمحكية أيضاً.

نايا : لقد شوقتني لمعرفة أخيك.

مايا : لا بد أن أعرفك به، ستحببينه يا نايا.

نايا : **(مازحة)** أخشى أن يقع في غرامي.. أنا فتاة متعِبة.

مايا : ولم لا يكون ذلك، إنه يحلم بفتاة مثلك تشبهني تماماً. والفتاة العادية لا تستحق الحب. لا بد للفتاة منكم أن يكون لها جانب من الطبيعة النارية لتكون مميزة.

نايا : وفي المقابل لابد للفتاة منكم أن يكون لها جانب من الطبيعة الترابية حتى تكون مميزة.

مايا : هذا صحيح، وأنا متأكدة بأن أخي سيعجبك.

نايا : دعك من هذا الحديث، يفصل ما بيننا مسافات وطبائع.

مايا : ستلبسين يوماً ثوب الريش هذا، وسأفرح بك.

نايا : وما الذي سيقدمه لي ثوب الريش هذا؟

مايا : الكثير.. إنه يجعلك أكثر خفة وحركة، ويعدِّل من طبيعة المرء.

نايا : لا أريد أن أتغير، سأبقى كما أنا، بعضهم اليوم يغير من جنسه: المرأة تصير رجلاً، والرجل يصير امرأة. هذا ضد الطبيعة الأولى، ومجرد نزوة جنونية وعبث.

مايا : **(باسمة وبثقة)** سترين، الحب يغير الطبائع، ويلغي الحواجز بين العالَميْن فيجعلنا نعبر إليكم وتعبرون إلينا.

نايا : ألا تخافين على أخيك؟ أخشى إن أحببت وتزوجت أن أكون كعشتار العاشقة التي أرسلت زوجها وحبيبها وأخاها تموز إلى العالم الأسفل، أو مثل ليليث التي تمردت وهربت من زوجها وأكلت أولادها.

مايا : لن يحدث هذا، فأنت نايا الجميلة والوديعة.. لقد كنت معك دائماً وسأكون بجانبك في أية حالة بعثت يا نايا.

نايا : إذن تعالي معي يا مايا لنقرأ بعض الدفاتر التي كتبناها معاً. قراءتها تمتعني جداً.

مايا : نعم، إنها ممتعة حقا، وهي التي توحّد بين روحينا.

نايا : ما رأيك أن نبدأ بدفتر عشتار؟

مايا : عشتار الأم الكبرى.. فلنبدأ به.

(تدخلان الغرفة. إظلام).

* * *

(دفاتر نايا)

تؤدي نايا الأدوار كما جاءت في دفاترها (أدوار: عشتار، دليلة، لونا، شجرة الدر) وهي بذلك تلخص وتشخص جوانب من رحلة المرأة عبر تاريخ البشرية.

صديقتها مايا تكون دائماً معها وباسمها نفسه «مايا»، محتفظة بشخصيتها الأساسية؛ فهي من طبيعة نارية قادرة على أن تعبر الأزمنة والأمكنة من غير تغير يذكر.

شاشة على المسرح لعرض بعض الشرائح الضوئية «السلايتات» حين الضرورة).

* * *

- دفتر عشتار -

(إضاءة)

عشتار تجلس على عرشها في كامل أبهتها وجلالها، تكلل رأسها بالتاج الذهبي، وتمسك بيدها الصولجان على شكل أفعى(*)، وتزين يديها بالحلي، وصدرَها بعقد من الأحجار الكريمة، وهي في شكلها تشبه منحوتاتها الأثرية: جمال في الوجه مع ملامح قاسية، مناطق الخصب من جسمها ضخمة وهي الصدر والثديان والحوض.

أمامها يقف زوجها تموز ومعه عصا الراعي، وعلى ظهره قوسه وجعبة سهامه، وهو يحمل غزالاً صغيراً صاده.

مايا في ثوب الريش تقف وراء عرش عشتار فاردة جناحين كبيرين من الريش.

تتدلى من سقف المسرح نجمة ثمانية كبيرة كأنها تظلل عشتار(**).

على الشاشة تنعكس صورة لإحدى نقش أو منحوتات عشتار الأثرية بكل جلالها، وأمامَها في معبدها يجلس المصلون لها ويرفعون أيديهم بالابتهال، ومنهم يصدر صوت الجوقة).

(*) الأفعى رمز لعشتار الخضراء روح الإنبات والخصوبة، وهي رمز لعشتار الشافية أيضاً.

(**) النجمة الثمانية في حضارة وادي الرافدين رمز لعشتار إلهة الحب والخصب، وهي نجمة الزهرة التي تظهر في السماء بعد الغروب.

عشتار : (تسجيلي مع الصدى)

أنا عشتار

وأنا إينانا

سيدة الكونين والثقلين

سيدة الفصول الأربعة

أنا الموت والحياة وخصب الطبيعة

والحب والجنس

وأنا الموت والحياة

وأنا الهلاك والدمار وسيدة الحروب

في الليل عاشقة وفي النهار مقاتلة

صوت الجوقة: (يأتي من بعيد) عشتار.. عشتار..

عشتار: أنا وَلدت نفسي ولم يلدني أحد

إليّ ينتسب العالم ولا أنتسب لأحد

أنا المرأة والرجل.. أنا الأنثى والذكر..

وأنا لست بأنثى أو ذكر(*).

صوت الجوقة: عشتار.. عشتار..

(*) إشارة إلى أنها الأم الكبرى قبل الانفصال إلى سالب وموجب/ أنثى وذكر.

عشتار: على رأسي وضعت تاج السهول

ومن محياي يَشِعُّ الألق والبهاء

بيدي أقبض على الصولجان اللازوردي

وزينت جيدي وصدري بالجواهر والأحجار الكريمة

صوت الجوقة: عشتار.. عشتار..

عشتار: وشحت جسدي بأثواب السيادة والسلطان

ومسحت وجهي بالزيت والطيوب

أنا عشتار..

سيدة الأكوان

وكل من فيها يسجد لي بإشارة من صولجاني

أنا البغي المقدسة

والعاهرة المعبودة

وأنا الأم الكبرى

اسجدوا لي أمنحكم الحياة والأمان.

(تشير بصولجانها)

(تتبدل الصورة على الشاشة وتعرض صورة لعشتار والناس أمامها في المعبد وهم ساجدون).

صوت الجوقة: عشتار.. عشتار.. امنحينا الحياة والأمان أيتها المقدسة والبغي المعبودة. عشتار..عشتار..

(يتردد النداء مع الصدى حتى يتلاشى الصوت تماما ويسود السكون وتظلم شاشة العرض. تموز يبقى واقفاً لا يسجد).

عشتار: (يعود الأداء والصوت طبيعيين) ما منعك أن تكون من الساجدين يا تموز؟

تموز : الزوج لا يسجد لزوجته، وإنما يضمها ويضاجعها في الفراش.

عشتار: ما حاجتي إلى الزوج وأنا الزوج والزوجة، وما أنت إلا راع لأغنامي وصائد للغزلان؟

مايا : (تتكلم ولا تسمعها غير عشتار) خففي من غلوائك يا عشتار، ولا تهيني زوجك فتدفعيه إلى الانتقام.

تموز : وكلمات الحب التي كنت ترددينها لي، هل نسيتها؟

عشتار: الحب والكره وجهان لي، ولا يدري أحد متى أحب ومتى أكره؟

تموز : أي من عشاقك يا عشتار لم ترمه في الهلاك؟ كان جلجامش محقاً حين رفض حبك ومعاشرتك وقتل ثورك السماوي أيتها العاهرة.

عشتار: وقد نكبْتُه بموت صديقه، ألا تخشى من انتقامي أيها الراعي.

تموز : لم أعد أخشى أي شيء. يا سيدتي، انتهى عصرك، عصر الأمومة، وشمسك على غروب، فوق الحائط مصفرة شاحبة. وسيمسك الراعي زمام الأمور في العالم.

مايا : كوني عاقلة ولا تدفعيه إلى الجنون يا عشتار. إذا صار الأمر في يده فسيدمر العالم.

عشتار: إذن، أنت تتحداني يا راعي الأغنام.

تموز : يا ذات المزاج المتقلب، أنا لا أتحداك ولكن السلطة تضيع منك كما تتسرب المياه من فروج الأصابع.

عشتار: ماذا تريد مني يا من كنت لي أخاً وحبيباً وزوجاً؟

تموز : أريدك أن تعودي إلى الفراش كما كنت، ومن الفراش تستطيعين أن تشاركي في حكم العالم. دعينا نتقاسم العالم يا عشتار.

عشتار: لقد فرِكْتك يا تموز. أحبك وأكرهك في آن واحد. سأحتفظ منك بالذكرى ولن أعود إلى الفراش.

تموز : عندما أدعوك إليَّ فأنا أخشى عليك. ألا تعلمين أن لك وجهين كما للقمر وجهان: وجه منير يحمل الحب والخصب والحياة، ووجه قاس متمرد ومعتم أسود يحمل الكراهية والموت والحروب. أنت عشتار وأنت ليليث في آن واحد.

عشتار: **(لمايا)** هل أنا كما وصفني يا صديقتي.

مايا : نعم فاحذري أن تعيشي بوجهك المعتم.

تموز : إذا تخليتِ عني ستعيشين بوجهك المعتم وحده، ستكونين ليليث، وتهيمين في البراري والفلوات، وتقترفين الشرور والآثام. سيفقد كل زوج زوجته، وكل خطيب خطيبته، وسينقرض الحب في العالم، وستخنقين الأطفال من قبل أن يولدوا. **(صمت)** عودي إلى الفراش يا عشتار، إنما خلقت المرأة للفراش. عودي كما كنت، وكوني الدفء والسكينة وفرح الأرض يا حبيبتي.

عشتار : لأنك تمردت علي يا تموز، أيها الزوج الحبيب فإنني سأمنح حبي وجسدي للسيد موت، وعليك أن تبارزه طول العام إلى أن تبرد الشمس وتنطفئ النجوم وينشق القمر.

أيها الابن الملكي تموز، يا أخي وزوجي صاحب الوجه الأجمل بين الوجوه.

نهايتك صارت قريبة، وقُدِّر عليك مصير بائس.

أيها الحبيب، الرجل الذي يسكن القلب،

لقد قدرت عليك مصيراً بائساً يا ذا الوجه الأجمل بين الوجوه(*).

(إظلام قصير)

* * *

(*) من خطاب إينانا (عشتار) لحبيبها دوموزي (تموز) حين تقرر موته وإرساله إلى العالم الأسفل.

(بقعة ضوء على تموز وهو ساجد يبتهل).

تموز : أبي الذي في الأعالي لقد أنهكني الصراع الطويل مع موت، السيدِ الذي يطلي وجهه بالقار الأسود، والذي تمده عشتار بالقوة، ولولا ذلك لتغلبت عليه وصرعته وملأت الأرض خضرة وجمالاً وسلاماً وربيعاً دائماً.

لقد أصبحتُ كخرقة بالية، وجسدي مثخن بالجراح. لقد استولى موت على الينابيع فما تنبض بقطرة واحدة أبلل بها ريقي، واختَزَن الطعام فما أجد رغيفاً واحداً أسد به رمقي، وهو يحاصرني بذؤبانه ومردته وزبانيته.

إن موت يا أبي يقوى عليَّ بحب ابنتك عشتار له. إن حبها يجعله جباراً قوياً، ولو لم تكن ابنتك عشتار معه لصرعته منذ زمن طويل.

أبي الذي في الأعالي

هاك ضلعاً من أضلاع صدري واصنع لي منه أماً وأختاً وزوجة حبيبة، طيّعة طيبة، تمنحني دفء الحياة والسلام، ولا تتمرد عليَّ في الفراش، حبها يمدني بالقوة في صراعي مع موت، امنحني امرأة تعمِّر لي الأرض قبل أن تملأها ذرية ليليث الشيطانة والوجه الآخر لابنتك عشتار..

أبي الذي في الأعالي،

امنحني الأمن والقوة والنصر على موت لأملأ لك الأرض أمناً وجمالاً وسعادة وسلاماً.

آمين.

(إظلام قصير)

* * *

(بقعة ضوء على عشتار ومايا، صوت رياح وأمواج البحر، التماعات ضوئية

وإضاءة المسرح خافتة).

عشتار: أين نحن الآن يا مايا؟

مايا : لقد قطعنا في رحلتنا هذه يا صديقتي أزمنة وأمكنة عديدة لا يمكن حصرها أو وصفها.

عشتار: ألازلت جميلة يا مايا أم أن الزمن الطويل قد ملأ وجهي بتجاعيد الشيخوخة؟

مايا : يا ذات الشباب الدائم وجهك لا تغضنه السنون وستبقين جميلة ما طلعت الشمس في الصباح وغربت في المساء، ولكن أين حبيبك موت؟

عشتار: لقد انفصلنا يا مايا، إنه يعمل الآن لحسابه الخاص. ولكن لماذا تسألين؟

مايا : لأن جثث القتلى والأموات ملأت الجبال والسهول. حبيبك يقضم أطراف الحياة وأرواح الناس، ويشعل الحروب، ويدمر المدن، بلا رحمة أو شفقة.

عشتار: لم أكن أريد هذا، ولم أدفعه إلى ذلك، كانت مهمته مقتصرة على مبارزة تموز، وكنت أعلم أن أحداً منهما لن ينتصر، سينتصر هذا مرة وذاك مرة، وهكذا تولد الحياة وتتجدد، ويعود الخصب من هذه الجدلية الأزلية.

مايا : ولكن العنف يجر العنف، والقتل يستدعي القتل، حتى تصبح الحياة لعبة موت.

عشتار: **هل كان عليَّ ألاّ أتخلى عن تموز؟**

مايا : لا تأسي على ما فات، ولا بد أن تسير الحياة إلى نهايتها المحتومة.

عشتار: كان لا بد أن أفعل ذلك. أحلامه كانت كبيرة وخطيرة. أصبح خطراً على مملكتي يا مايا.

مايا : ومع هذا فقد خسرت مملكتك يا عشتار.

عشتار: نعم خسرتها، لا أدري كيف انتزعها مني تموز.

مايا : وخسرت نفسك أيضاً يا عشتار، خسرت وجهك المنير.

عشتار: كلا، لم أخسر وجهي المنير نهائياً، مازلت أشرق وأولد كما يولد القمر بعد المحاق. مازلت عشتار الخضراء، عشتار الشافية.

مايا : هل أنت متأكدة من أنك لم تخسري شيئاً؟

عشتار: **(تصمت لحظة وكأنها تفكر)** ومن منا لا يخسر، المرء كل لحظة يخسر جانباً من عمره، لا بد أن يخسر المرء لتستمر الحياة. ولكن ما فعل تموز من بعدي؟

مايا : صنع له أبوه الذي في الأعالي امرأة من ضلعه أرادها أن تكون مطيعة وللفراش فقط.

عشتار: لعلها خففت من غلوائه وحبه للسيطرة والتملك، ولعلها كانت السبب في أن يحمل السعادة والأمن والسلام للناس كما كان يدّعي.

مايا : انظري ما فعل حبيبك تموز منذ أن انفصلْتِ عنه واستولى على مملكتك.

(إظلام قصير)

* * *

(بقعة ضوء على تموز في لباس عصري وعشيقته وخارطة للعالم على الطاولة أمامهما وهما يحتسيان الخمرة).

تموز : هذه الخمرة معتّقة رائعة، حمراء كعين الديك، قال فيها الشاعر:

صحّت كعين الديك صا   فيةً وطرفُ النجم أرمد(*)

(*) البيت لإبراهيم الطباطبائي.

إيفا : لونها يعجبني.

تموز : ويعجبني أيضاً، أنها بلون الدم يا إيفا. **(ينظر إلى إيفا بشبق).**

إيفا : ما لك تنظر إلي هكذا، أحس بأنك تأكلني.. هل أنت سكران؟

تموز : يسكرني هذا الجسد، كم أنت شهية يا إيفا.

إيفا : أنت مهووس بالجنس.

تموز : **(يضحك)** الجنس هو التوأم الشقيق للدم والحرب والعنف.

إيفا : وماذا بعد؟

ماذا بعد الجنس والعنف والموت والصراعات الدموية؟

تموز : ليس هنالك من بعد.. لقد انتهى التاريخ عندي وحُسم الأمر يا إيفا.

كل شيء هالك إلا وجهي.

إيفا : إذن أنت قادر على كل شيء.

تموز : أنا المطلق.

إيفا : **(مازحة)** لقد أهدى سليمان إلى بلقيس عرشها في طرفة عين، ومادمت أنت قادراً على كل شيء فماذا ستهديني في عيد ميلادي.

تموز : وماذا تعطيني لقاء هديتي؟

إيفا : أعطيك متعة لا حدود لها.

تموز: ضعي إصبعك على أي مكان في هذه القرية الكبيرة فيكون ملكك.

(تغمض عينيها وتضع إصبعها على نقطة في الخارطة، تموز ينظر إلى المكان الذي أشارت إليه ويهتف) هيروشيما.. آه.. هيروشيما حبيبتي.

(صوت انفجار ذري مروع وعلى الشاشة تنعكس شريحة ضوئية لسحابة الفطر، أصوات بكاء أطفال ونحيب نساء).

(إظلام)

* * *

(إضاءة

نايا تجلس أمام باب دارها تقرأ في دفتر صغير بيدها وتسجل فيه بعض الكلمات، تنهض وتتناول كأساً زجاجياً)

نايا : سأرى إن كان الماء مقطوعاً أم أنه عاد.

(تتجه نحو صنبور الماء، تفتحه فينزل منه سائل أحمر، تتذوقه).

أوه .. هذا شاي بارد محلّى بالعسل، هذا من عمل مايا **(تنادي مازحة كما يفعل الأطفال)** اظهر وبان عليك الأمان.

(تظهر فجأة مايا في ثوب عادي أنيق وجميل ويجانبها أخوها الشاب في ثوب الريش).

مايا : جئتك بضيف يا نايا.

نايا : أهلاً بك وبمن معك.

مايا : هذا أخي الذي حدثتك عنه، اسمه جَنان، وقد جاء للتو من السفر ولا يزال في ثوب الريش.

نايا : أهلاً بك يا جنان **(تصافحه)** آسفة.. المكان خرب لا يليق بضيف عزيز علينا مثلك.

جنان: إنما يعمر المكان بأهله يا آنستي.. أنت جمال هذا المكان وقيمته الحقيقية، ألم تسمعي قول قيس الإنس صاحب ليلى العامرية والذي مر على ديار محبوبته وهي أطلال خربة.

نايا : هات أسمعني، لقد اشتقت لحديث الشعر ومطارحات الشعراء.

جنان:

أَمُرُّ على الديار ديارِ ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حُب الديار شغفْن قلبي ولكن حُب من سَكَن الديارا

نايا : يحق لهذا المجنون بحب ليلى أن يقبِّل جدران دارها الخربة وهو القائل حين أزمع أهلها الارتحال بها.

كأن القلبَ ليلة قيل يُغدى بليلى العامريةِ أو يُراح
قطاةٌ غرَّها شَرَكٌ فباتت تعالجه وقد عَلِق الجناح

مايا : هيه.. لقد علق منكِ الجناح يا نايا.

نايا : لا تبعد بكِ الظنون. إنها مجرد محاورات شعرية.

مايا : تتطارحان الأشعار أمامي وتنسياني.. أنا هنا.

نايا : لم ننسك يا مايا، ولكنني منذ مدة طويلة وأنا أحلم بلقاء شاعر أتطارح معه القصيد. للأسف أنا أحفظ الشعر ولكنني لا أنظمه.

جنان: سأعلمك نظم الشعر يا نايا، الأمر بسيط إذا كانت لك أذن إيقاعية، وإذا لم تتوافر هذه فإنك تستطيعين أن تكتبي قصيدة النثر.

نايا : وأيهما أجمل في رأيك؟

جنان: جمال الشعر ليس بإيقاعه فحسب وإنما بصوره وأسلوبه وأفكاره وإيقاعاته الروحية الداخلية.

نايا : أنا أكتب الآن دفاتر المرأة، هي ليست بشعر، ولكنها جميلة ومفيدة، هل تريد أن تَطَّلع عليها.

جنان: بكل سرور.

مايا : ما الدفتر الذي ستعرضينه على جَنان يا نايا؟

نايا : دفتر دليلة.

مايا : **(مازحة)** دليلة والزيبق أم دليلة وشمشون أم..

نايا : بل دليلة التي أعرفها من مشاهداتي، ولعلي عشت شخصيتها في عصر من العصور.

مايا : ولعلي أيضاً كنت قرينة لك أيضاً.. افتحي دفتر دليلة يا نايا.

(نايا تفتح الدفتر الذي كانت تكتب فيه)

(إظلام قصير)

* * *

- دفتر دليلة -

(زوج دليلة أمام باب الدار في القرية يحتسي الشاي ويدخن، وبجانبه جاره القاصود (الشاعر المغني) يعزف على الربابة ويغني.

الزوج شعره طويل وله شاربان كبيران وذقن طويلة، يضع المشلح(*) على كتفيه كأنه أمير، وهو يجلس هكذا طول اليوم معتمداً على زوجته التي تعمل في الحقل).

القاصود :

أشـتكي لَـكْ مـن هـوى نُجـل   يوسُـفيّات المَهـا حُمـر الـشفاهْ

سـالبات للمـلا تُلْـع الرِّقـاب   خُـرّدات بـالبيوتِ مْخفَّـرات

عنبريـاتُ الـروائح والكمـال   فـي جمـال قايمـات قاعدات(**)

الزوج : أين هذه الفتاة التي لها هذه الأوصاف يا صديقي.

القاصود : للشعراء تصوراتهم وأحلامهم بالجمال يا صديقي.

الزوج : لم تعجبني هذه: في البيوت مخفّرات.

القاصود : ولماذا لا تعجبك؟

(*) كالعباءة وإنما من القماش الصوفي أو القطني.

(**) أبيات من السامري / لون شعري غنائي بدوي.

الزوج : المرأة يجب أن تنهكها بالعمل: في الحقل، في المصنع، في البيت، الرجل يحكم ويأمر والمرأة تعمل. المرأة يجب أن تبقى خادمة لا مخدومة.

القاصود: نحن الشعراء لنا رأي آخر: نتغزل بالمرأة، نمدحها ونصفها منعمة مرفهة مخدومة، وإلا فإن القصيدة تصبح ثقيلة ممجوجة، ومعتمة مرفوضة.

الزوج : هراء.

القاصود: وأزيدك فائدة، من محاسن الرجل أن يتذلل للمرأة.

الزوج : ومتى كان التذلل مكرمة؟

القاصود: لا يحمد التذلل في الشعر لغير المرأة، ألم تسمع قول الشاعر:

نحن قومٌ تذيبنا الأعينُ النُّجْلُ   غيــر أنــا نُــذيب الحديــدا

الزوج : اسمع يا صاح: المرأة عليك أن تطأها لا أن تتغزل بها، إني أنصحك دع أخيلتك الشعرية ولا تأمن المرأة، ولا تعطها أسرارك، ولا تسمح لها بأن تقص شعرك.

القاصود: تقص شعري**!؟**

الزوج : نعم.. شمشون كان جباراً قوياً، وكان سر قوته في شعره، إلى أن أحب تلك الراقصة العاهرة دليلة التي أرسلها له أعداؤه فأغوته بجسدها حتى باح لها بسر

قوته وأن هذا السر يكمن في شعره. وقصت له شعره ففقد قوته وأوقعته في الأسر والذل والهلاك.

القاصود: **(مازحاً)** ولهذا أنت تطيل شعرك، هل أنت شمشون الجبار؟

الزوج : دعك من المزاح؟

القاصود: أنا لا أمزح، إذا غابت المرأة غابت الحياة والجمال، ولم يعد للشعر ولا للغناء مكان. ألا ترى بعضهم اليوم يتزنر بحزام ناسف ، ويفجر نفسه في المسجد أو في سوق شعبية فيقتل العشرات من الأبرياء ليدخل الجنة ويحظى بحورية من حورياتها السمراوات أو الشقراوات.

الزوج : نعم.. يحلم بحورية لا يتغزل بها أو يغني لها وينظم فيها الأشعار، وإنما ليقيم معها علاقة جنسية. إنه يضحي بنفسه وبغيره ليفوز بمتعة الجنس.. والجنس فقط.. لا وقت للغزل في الجنة؛ الغزل بضاعة المحروم، وباختصار المرأة للعمل والجنس فقط يا صاحبي.

القاصود: ألا يحق للمرأة أن تطلب ما يطلبه الرجل؟

الزوج : ماذا تقصد؟

القاصود: **(يضحك)** اسمع.. إنها أكثر من نكتة. قالت لي إحداهن مرة وهي فتاة فنانة جريئة: أنتم الرب يعدكم بحوريات

في الجنة للجنس والاستمتاع تتفكهون بهن وتنتقلون من واحدة إلى أخرى، ونحن النساء لماذا لا يعدنا بحور من الرجال في الجنة نتفكه بهم وننتقل من رجل إلى آخر؟.. حتى الجنة هي مملكة الذكور فقط!

الزوج : عليها اللعنة، ألم تصفعها على وجهها؟.

القاصود : لست بشمشون مثلك حتى أصفعها على وجهها .. أوه.. ها قد جاءت زوجتك.

(تقبل من بعيد زوجته دليلة، وهي قروية تحمل على رأسها صرة كبيرة فيها قش وأغصان للوقود، وفي يدها وعاء ماء بلاستيكي، وفي يدها الأخرى رضيع في لفافة ولدته للتو، وتعلق برأسها شرشفاً مثنياً ومرمياً على ظهرها فيه طفلها الصغير يمد رأسه من فرجة الشرشف).

الزوج : **(عابساً)** تأخرت اليوم يا مقصوفة الرقبة(*).

دليلة : كان لدي عمل كثير يا سيدي.

الزوج : وماذا عملت اليوم؟

دليلة : عملت في قطاف العنب، وجمعت القش والعيدان للوقود، وفلحت قطعة الأرض الشرقية الصغيرة، وجئت من النبع بهذا الماء النقي للشرب .. أف .. الحر شديد اليوم يا سيدي.

(*) تعبير شعبي في الملامة والتقريع.

الزوج : هذا جيد، وما هذا الذي تحملينه في يدك؟

دليلة : طفل ولدته اليوم في الحقل، ساعدتني في الولادة حاصودة تعمل بجانبي.

الزوج : صبي أم بنت؟

دليلة : صبي.

الزوج : الحمد لله .. لا أحب البنات.

دليلة : ماذا ستسميه يا سيدي.

الزوج : شمشون.

دليلة : الأول سميته على اسم أبيك، وهذا كنت أتوقع أن تسميه على اسم والدي.

الزوج : اخرسي وأسرعي وحضري لي الطعام.

دليلة : حاضر.

الزوج : ماذا؟

دليلة : حاضر يا سيدي.

(إظلام قصير وبقعة ضوء على مايا في ركن المسرح منتظرة وصول دليلة. تصل وتصبح تحت بقعة الضوء).

دليلة : **(مفاجأة)** أوه.. هكذا تنبثقين من تحت الأرض**!؟**

مايا : لا عليك يا دليلة.. منذ فترة لم نلتق.. أنت مشغولة دائماً.. هل أساعدك في حمل الأغراض؟

دليلة : كلا.. تعوّدت على ذلك.

مايا : اسمعي يا دليلة، أنا حزينة من أجلك، يجب أن تتمردي، أن تثوري على واقعك.

دليلة : ولماذا أثور؟

مايا : هذه عبودية. كيف تتحملين كل هذا الاستعباد..!؟

دليلة : في البداية تكون العبودية صعبة، ثم تصبح مقبولة، ثم تصبح في المرحلة الثالثة لذيذة. للعبودية طعم حرّيف(*) خاص ولذة محببة يا مايا.

مايا : **(مندهشة)** طعم خاص.. ولذة محببة..!

دليلة : نعم، لا تضاهيها سوى لذة المضاجعة حين تصل المرأة إلى منتهى النشوة.

مايا : هذا شذوذ يا دليلة، لو أن الناس جميعاً كانوا على ذلك فقط لفقدت الحياة عنصرها الدرامي، وما عادت جديرة بالاستمرار. إن أمنا عشتار خسرت مملكتها ولكنها لم تتخل عن طموحها ومحاولاتها باستعادتها، غريزة السيطرة والتملك لا يمكن أن تموت.

دليلة : اسمعي يا مايا. لكل طريقته في الحاكمية والتملك، وأنا لي طريقتي في تملكي لزوجي وللأشياء. هو يحسب أنه

(*) الحِرِّيف عند العامة هو الطعم الذي فيه نكهة حموضة خفيفة حادة لذيذة.

المنتصر والحاكم المسيطر، ولكنه يا مايا يخسر روح الأشياء، وهذه هي الملكية الحقيقية.

مايا : ماذا تقصدين بروح الأشياء؟

دليلة : النبع الذي أجلب منه الماء، الأشجار التي أقلِّمها، الحقل الذي أفلحه، الزرع الذي أحصده، الطفل الذي ألده.. جميع الأشياء التي أعملها وأعيشها من الصباح إلى المساء لها أرواح لطيفة خفيفة تبادلني وأبادلها الحب، تحادثني وأحادثها، تحبني وأحبها، إنها ملكي، فأنا أمتلك روح الأشياء وهذا ما لا يفهمه زوجي ولا يستطيع الحصول عليه لأن روحه كتيمة لا تتعامل مع الأرواح الخفيفة، إنه الخاسر دوماً، وهذا يحزنني.

قد تسمين هذه الأشياء عبودية. فلتسمها ما شئت، ولكنها مملكتي وحريتي، إن لي عالمي الخاص يا مايا وأنا مليكته.

والآن دعيني أذهب فقد تأخرت وعليَّ أن أحمم الولد وأطبخ الطعام لزوجي.

(تخرج من دائرة الضوء وتبقى مايا مستغربة حائرة).

(إظلام)

* * *

(إضاءة

تصل نايا من الخارج وتدخل حاملة بعض أكياس الطعام وزجاجة ماء، وتعلق على كتفها محفظتها النسائية)

نايا : من الصعب الحصول على الماء والطعام في ظل هذه الحرب الملعونة.

يبدو واضحاً إقحام موضوع الحرب بين الحين والآخر.

(تضع ما تحمله أمام باب الدار، تتطلع حولها وتفاجأ بأن الورد بكل أنواعه والزهور والزنابق قد نبتت في أنحاء متعددة من باحة الدار).

في الصباح حين خرجت لم تكن هنالك ورود ولا أزهار، وها أنذا أعود فأراها قد نبتت في بضع ساعات. لا بد أن هذا من فعل مايا. **(تنادي)** مايا.. أين أنت؟ لماذا تختبئين؟

(يبرز فجأة جنان في ثوب عادي أنيق وهو يعلق آلة الكمان أو الربابة على كتفه).

جَنان: هل أعجبتك الورود يا نايا؟

نايا : إذن هو أنت من فعل هذا.

جَنان: نعم.. هل أعجبتك؟

نايا : جداً.. شكراً يا جنان.

جَنان: لم أجد أفضل منها هدية أقدمها لك يا نايا.

نايا : أنا أحب الورود جداً.. هذا البيت قبل أن يصيبه الدمار كانت فيه مساكب رائعة للورود والزهور، كنت أسقيها بنفسي وأعتني بها.

جَنان: لا يعادل الورود والزهور في قيمتها ورمزها وجمالها سوى الكلمة الطيبة أو قصيدة شعر.

نايا : وأين هي القصيدة.

جَنان: ستكون لك أجمل قصيدة.

نايا : مغنّاة؟

جَنان: ومغنّاة أيضاً، وهذا كماني حاضر.

(يتناول الكمان يجلسان متقابلين ويبدأ بالعزف)

جَنان: (يغني)

وجهكْ جنة الفردوس جنّاي **(باعث على الجنون)**

شجرْها في أوانه ثمرْ جنّاي **(ثمر الجنة)**

إن أكل منها إنسي أو أكل جنّاي **(جني)**

وروحه مفارِقة يرجع طياب **(حيّاً معافى)**

مايا : (تدخل وتصفق مستحسنة الأداء) أحسنت يا جنان.. يا سلام.. تتغازلان من وراء ظهري.. هذه خيانة.

جَنان: وما أجملها من خيانة.

مايا : نايا فتاة مرهفة يا جنان، أَعرفها جيداً فهي تِرْبي وشقيقتي. وإذا كانت أشعارك وأغانيك من روحك فلا بد لنايا أن تلبس الريش ذات يوم.

جَنان: يسعدني أن تفعل ذلك.

نايا : لا يشطح بكما الخيال بعيداً يا مايا، فأنا وأنتما من كوكبين مختلفين.

مايا : تقصدين من عالمين مختلفين.. الحب يجمع العوالم كلها.

جَنان: وبالعشق تسبح الشموس والنجوم والكواكب وتدور في أفلاكها.

مايا : كم بقي من دفاترك يا نايا؟

نايا : بقي الكثير

(تخرج من محفظتها دفاتر صغيرة)

مايا : وماذا ستعرضين اليوم؟

نايا : **(تستعرض الدفاتر)** لدي دفتر كليوباترا، ودفتر عبلة صاحبة عنترة، ودفتر ملكة مصر شجرة الدر، ودفتر لونا، ودفاتر أخرى لأسرى وفتيات سبيات يباعون جميعاً في سوق النخاسة..

جَنان: أحسب أن تجارة الرقيق قد انقرضت لديكم.

نايا : كلا لم تنقرض يا جنان، لقد عادت من جديد مع انتشار الفوضى والحروب القذرة والفكر الظلامي الأسود، مما تنطبق عليه الآية الكريمة: «قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب».

مايا : حسن، اقرئي لنا من دفتر واحدة من هذه السبايا

* * *

نايا : **(تختار دفتراً)** هذا دفتر لونا.

مايا : يبدو أنها أثيرة لديك، اقرئي لنا من دفتر لونا.

(إظلام)

- دفتـر لونا -

(إضاءة شاحبة، خافتة، متراجفة، أصوات رصاص ورجال مقنعون يندفعون ولهم رؤوس الغوريلا، يرتدون ثياباً سوداً من جلود الحيوانات، وهي قصيرة وغير أنيقة بحيث تعطيهم مظهر البدائيين المتوحشين، لهم لحىً كثة طويلة، يحملون في أيديهم الحراب والسواطير، يلاحقون أطفالاً ونساء وشباناً صغاراً يحاولون القبض عليهم وجرهم خارج المسرح، يطلقون صرخات همجية.

لا يبقى على خشبة المسرح سوى الفتاة لونا وثلاثة رجال سود يرمونها أرضاً ويربطون يديها ثم يسحبونها خارجاً)

(إظلام)

* * *

(بقعة ضوء على لونا في العيادة النفسية نصف ممددة على سرير وبجانبها طاولة صغيرة وعليها أصيص فيه زهور ذابلة والطبيب يتابع جلسة المعالجة)

الطبيب: هل أنت متأكدة أن لهم رؤوس الغوريلا، ويلبسون ثياب المتوحشين، ولهم لحى كثة طويلة، وفي أيديهم الحراب والسواطير؟

لونا : **(بصوت ضعيف ومريض)** نعم.. أو هكذا خُيِّل إليَّ يا دكتور. **(تبحث عن شيء بعينيها)**.

الطبيب: لعلك كنت تُرينيْهِم بعين العين لا بالعين الباصرة؟

لونا : ربما، ولكني رأيتهم كما وصفت **(تبحث عن شيء بعينيها).**

الطبيب: ماذا تريدين يا لونا؟

لونا : ماء.

الطبيب: حاضر **(يناولها كأس ماء، تقربه من فمها ثم تبعده خائفة)** ماذا يا لونا، لماذا لم تشربي؟

لونا : في الكأس صراصير سود.

الطبيب: لا.. لا يوجد شيء، أنت تتخيلين.

لونا : **(تشير بإصبعها إلى الكأس)**، الصراصير في الكأس تحاول الصعود إلى أعلى.

الطبيب: حسن، سأحضر لك زجاجة ماء مختومة.

(يناولها الزجاجة)

لونا : شكراً لم أعد عطشى.

الطبيب: هل تظهر لك الصراصير في الماء فقط؟

لونا : وعندما آكل أيضاً تخرج من صحون الطعام وتملأ الطاولة.

الطبيب: وفي الكتب؟ أنت تقرئين كثيراً وتقرضين الشعر.

لونا : لم يحدث هذا إلا عندما أعطوني بعض كتبهم وأجبروني على قراءتها وحفظها. قالوا بأني كافرة وأنني بحاجة إلى

دورة تثقيف وتأهيل. عندما كنت أفتح الكتاب كانت الكلمات تنفلت من الأسطر وتصير صراصير سوداً.

الطبيب : حسن، دعينا من هذا. هل تعلمين شيئاً عن عائلتك يا لونا؟

لونا : لا أعلم الكثير. أبي قتلوه أمام عينيّ، وأمي باعوها بثمن بخس، وأخي ربطوا برجله صخرة وألقوه في النهر، ولا أعرف ما حل بأعمامي وأخوالي وعائلاتهم.

الطبيب: **(يعرض أمامها لوحة تشكيلية)** هل تعرفين هذه اللوحة؟

لونا : هذه لوحة رسمتها واشتركت بها في معرض الربيع وحصلت على الجائزة الثانية.

الطبيب: أنت فنانة موهوبة يا لونا.

لونا : كنت على وشك أن أقيم معرضاً فردياً. أعددت اللوحات، ثم حصل ما حصل.

الطبيب: حاولي أن تنسي، ما فات مات **(يبسط جانباً من صحيفة يومية ويقرأ)**.

قلبي ينبض بحب الحياة
قلبي يسع العالم ولكن العالم لا يسعني
قلبي بحر بلا شواطئ
من يكره البحر
سوى جاهل أو شرير؟

لونا : هذه آخر قصيدة كتبتها.

الطبيب: شعرك جميل يا لونا.

لونا : عندما جرّوني إلى كهفهم الأسود وقبل أن يغتصبوني قالوا لي: وتكتبين الشعر يا كافرة. أنت غاوية. أنتم الشعراء المفسدون في الأرض عليكم اللعنة.

الطبيب: وهل اغتصبوك؟

لونا : نعم، كانوا ثلاثة، وكنت خائفة أرتجف. ولكنني لم أبك، كنت أنظر إليهم باشمئزاز وازدراء ولا أتكلم، جسدي تبلّد، خرجت روحي من جسدي فبقي على السرير جثة هامدة، أما روحي فقد حلقت فوق جسدي تراقب ما يحدث وكانت خفيفة نقية عطرة أشم رائحتها الشذية.

(إظلام)

* * *

(إنارة، الطبيب يتابع جلسته)

الطبيب: لقد قلتها بنفسك يا لونا، انفصلت روحك عن جسدك، وحلقت تراقب ما يحدث، وكانت نقية عطرة.. أترين..؟ إنهم لم يغتصبوك، لقد توهّموا، الروح هي الجوهر الخالد والجسم عَرَض، الروح لا تغتصب.

لونا : شكراً دكتور، أنت تريد أن تحمل السلوان إلى قلبي لأتابع الحياة، ولكنني أعتقد أنني أودع الحياة.

الطبيب: فلتكن روحك نضرة قوية يا لونا.

لونا : روحي زهرة ذابلة بلا عطر يا حكيم.

الطبيب : بالعكس إني لأشم الآن شذا روحك العطرة. كوني قوية ولا داعي للتشاؤم، ها أنت قد عدت إلينا حيث الأمان والطمأنينة.

لونا : نعم، عدت، ولكن تلك الصور لا يمكن أن تمحى من الذاكرة. أنا أشكر ذلك الرجل الذي أشفق عليّ واشتراني بماله ثم أطلق سراحي وحررني وأرسلني إلى هنا.

الطبيب: لا يعدم المرء أن يجد أناساً خيّرين.

لونا : صحيح، ولكنهم قِلَّة. أنتَ لم تتعرض لمثل هذا الإذلال، أن تقف في سوق النخاسين على مصطبة العرض يعرضونك للبيع في المزاد.

الطبيب: دعينا نستعرض هذا المشهد.

لونا : لا أستطيع، أحسب أنني سأهلك بعده.

الطبيب: بالعكس، استحضاره هو الدواء الشافي لنفيه من الفكر والذاكرة، هذا الاستحضار بمثابة إعدام له وشفاء لك من آثاره.

لونا : بل هو إعدام لي.

الطبيب : لا بد من استحضار المشهد، هذا جزء أساسي في العلاج.

* * *

(إضاءة. في سوق النخاسين وقد انعكست على الشاشة شريحة ضوئية للوحة كبيرة كتب فيها بالألوان:

أثمان الأرقاء والسبايا

الطفل دون العاشرة٤٠ $ - الطفل فوق العاشرة ٨٠ $ - الفتاة العانس١٠٠ $ - الأرملة٩٠ $ - الفتيات الجميلات الفاتنات: بالمزاد.

على مصطبة البيع تقف لونا معروضة للبيع وحولها الرجال الثلاثة كما في المشهد السابق وبأيديهم الحراب والبلطات والطبل.

تسمع موسيقى صاخبة جداً كأنها آتية من صالة ديسكو).

أصوات الديسكو: هالي غالي.. تشا تشا تشا **(أو غيرها من الأغنيات الراقصة الصاخبة جداً).**

(خبطة قدم على الأرض ويسود الصمت ويتوقف الرجال المقنعون الثلاثة عن الرقص والدوران حول لونا، ويعلو صوت المنادي التسجيلي).

المنادي : (صوت تسجيلي) وصل المزاد إلى مئتي دولار. فتاة كافرة جميلة، فنانة وشاعرة. وتجيد الطبخ والتنظيف.. من يزيد؟

أصوات الديسكو: هالي كالي.. تشا تشا تشا.

(خبطة قدم على الأرض ويسود الصمت ويعلو صوت المنادي التسجيلي).

صوت المنادي: وصل المزاد إلى ثلاثمئة دولار.. من يزيد؟ جسم ناعم كالحرير، عيون عسلية، خدود وردية، وهي في الفراش شهية.. من يزيد؟

(أصوات ويعود صخب الديسكو من جديد).

أصوات الديسكو: هالي كالي.. تشا تشا تشا

(خبطة قدم على الأرض ويسود الصمت ويعلو صوت المنادي التسجيلي).

صوت المنادي: أرسى المزاد على أربعمئة دولار.. التسليم فوري ومبروك للفائز بهذه الجارية الثمينة.

(أحد الرجال الثلاثة يضع الطوق الموصول بحبل طويل في رقبتها ويجرها خارج المسرح).

(إظلام)

* * *

(إضاءة على عيادة الطبيب وهو يتابع المعالجة).

الطبيب: أعرف أنها كانت أياماً صعبة يا لونا، ولكن الإنسان قادر على النسيان والتكيف من جديد، لاحظي أن كلمة إنسان مشتقة من النسيان. ولولا النسيان لانفجر الدماغ بما يختزن من معلومات وأحداث.

(لونا لا ترد)

تمر بي حالات كثيرة أعالجها لكن حالتك هي الأصعب بلا شك، ولكنها ليست مستحيلة، وأنا متأكد من نجاح المعالجة في النهاية.

(لونا لا ترد)

لا يهمكِ أمر هؤلاء يجب أن تَنسيهم، إنهم مجرد غربان سود، والغراب لا صوته حسن، ولا لحمه يؤكل، ولا شكله يبعث على السرور.

(لونا لا ترد)

إنهم باسم آلهتهم التي يعبدونها يحاصرون المدن والقرى ويمنعون عن أهلها الطعام والماء حتى تسود المجاعة ويموت الناس على الأرصفة.

(لونا لا ترد)

يقول ضعفاء الإيمان: إن الله لم يعد يستجيب إلى دعاء البشر فهو مشغول بأمور أخرى، وقد طالت المعاناة. أستغفر الله فهذا تجديف، وإن الشمس مهما طال الليل لا بد أن تشرق ويطلع نهار جديد فيه نهاية لآلام الناس.

(لونا لا ترد)

أرجو أن تبعث كلمتي هذه الراحة في نفسك.

هل تريدين أن تضيفي شيئاً قبل أن ننهي الجلسة؟

(لونا لا ترد)

لونا.. أنا أكلمك يا لونا

(ينحني عليها وينظر في عينيها فيراهما جامدتين، يفحص نبضها فيتأكد أنها ميتة، يغلق لها عينيها ويسحب الشرشف الأبيض بهدوء ويغطي جسمها ورأسها ثم يخرج من غير أي تعبير على وجهه).

(إظلام قصير ثم إضاءة)

(تدخل مايا بثوب الريش تحمل طاقة زهر وكتاباً ذا غلاف ذهبي اللون، ترمي بالزهور الذابلة في سلة المهملات وتضع الزهور الجديدة في الأصيص بجانبها، ترفع الغطاء عن وجه لونا، تضع الكتاب الذهبي على الوسادة بجانب رأسها، تطبع على جبينها قبلة).

مايا: وداعاً لونا.. أيتها القدّيسة.

(تجلس بجانبها وتنحدر من عينيها دمعتان).

* * *

(إضاءة)

(نايا تحمل قفصاً فيه بلبل ولكنه لا يغرد، تعلقه على الجدار تأخذ إبريق الماء لتسقي به أصص الزهر فتصدر عن الإبريق موسيقى لطيفة، تتعجب، تنقطع الموسيقى وتلمس شجرة الزينة في الأصيص وهي تسقيها فتصدر عنها موسيقى أخرى لطيفة، تندهش، تلمس الزهور في الأصيص الآخر وهي تسقيها فتصدر عنها موسيقى وثرثرات ناعمة كأنها تتحاور. تضع إبريق السقاية جانباً وتخاطب مايا).

نايا : هذا من فعل مايا. **(تنادي)** مايا.. كفاك لعباً، اظهري.. ما هذا الذي تفعلينه؟

مايا : **(تطل من نافذة البيت)** وهل عملت شيئاً خاطئاً؟

نايا : كلا.. ولكن سيأتي يوم، وبسبب لعبك هذا، لا أميز فيه بين الحقيقة والوهم.

مايا : هذا ليس وهماً يا نايا. كل شيء في هذا الكون تصدر عنه موسيقا خاصة به: الأواني.. الملابس.. الأزهار.. الأشجار.. حتى الكواكب والأجرام لها موسيقاها وثرثراتها ولكنكم لا تسمعونها.

نايا : وكيف سمعتُها الآن؟

مايا : من خلال وجودي وإرادتي.

نايا : إذن سماع أصوات هذه الأشياء مرتبط بك.

مايا : أنا لم أقل ذلك، يمكن للمرء أيضاً إذا تخفف من غسقه الكثيف وحلقت روحه في فضاء النار والنور أن يسمع لغات الكائنات.

نايا : ولهذا أنتم تروننا ولا نراكم، وتسمعوننا ولا نسمعكم.

مايا : هل زعلت؟ أنا أتحدث بشكل علمي وحسب الطبائع المتنوعة التي خُلِقت منها الكائنات.

نايا : أنا لم أزعل ولكنني أفكر، أنا أسمع الآن على الأقل في هذه الساعة جميع الأصوات ولا أسمع صوت البلبل الذي كان يؤنسني في وحدتي.

مايا : ولماذا لا يغرد.

نايا : منذ علا صوت الزلازل والمدافع والانفجارات صمت هذا البلبل.

مايا : سيعود إلى التغريد، لحظة سأحضر وأكلمه لعله يعود إلى التغريد.

(تغادر مايا النافذة وتنزل إلى باحة الدار وتهمس في أذن البلبل فيبدأ التغريد).

نايا : أوه.. هذا أمر عجب، كيف فعلت ذلك، وأنا التي أعتني به رفض الاستجابة إلى رجائي.

مايا : ليس أمراً عجباً، الملك سليمان من قبل عُلِّم منطق الطير فكان يحادث الطيور ويأمرها بما يريد، وكان يسمع لغة النمل.

نايا : هذه منحة إلهية يخص بها الله بعضهم.

مايا : صحيح، لكن العلماء ينظرون إليها من الناحية العلمية ويرون أن لكل حيوان سماته أو خصوصيته اللغوية وطبقاتها الصوتية، وهم يحاولون التعرف عليها وترجمتها. أترين أن ما عملته مع البلبل ليس بمعجزة تستدعي العجب.

نايا : مهما يكن فهذا عمل جميل منك يا مايا.

مايا : أردت أن أبعث السرور في قلبك في هذه الأيام العصيبة.

نايا : شكراً يا صديقتي. وأين أخوك جَنان، لماذا لم يحضر معك؟

مايا : لبس ثوب الريش وسافر، إنه الآن في إحدى جزر المحيط الهادي غير المأهولة.

نايا : في المرة السابقة ملأ لي البيت بالورود والزهور.

مايا : إنه يحبك يا نايا، وقد طلب مني أن أعرف رأيك.

نايا : لا شك أنه شاب فنان موهوب ومحبوب، لا يمكن للمرء إلا أن يحبه، ولكن يا مايا نحن من عالمين مختلفين، الأسماك لا تستطيع أن تعيش على اليابسة، والطيور لا تستطيع أن تعيش في البحر داخل الماء، وما تفكرين به لا وجود له إلا في الحكايات الشعبية. **(تضع مايا أمامها علبة فاخرة)** ما هذا يا مايا؟

مايا : أنت تصعِّبين الأمور، وهي غير مستحيلة. قبل أن يسافر جنان ترك لك ثوب الريش هذا، تستطيعين متى شئت أن ترتديه وتطيري إليه أو إلى أي مكان آخر، وليس من الضروري أن تلبسيه دائماً، حاولي أن تجربيه.من كان يتصور أن الإنسان سيأتي عليه يوم يطير في السماء ويسافر إلى القمر؟ فقط عليك أن تجربيه.

(تقدم لها العلبة وفيها الثوب).

نايا : شكراً، ربما أرتديه ونذهب معا في زيارة له فقط لأطلع على عوالمه وأبتعد عن هذه الحرب الجهنمية.

مايا : منذ أن خسرت المرأة مملكتها، وذهب المجتمع الأمومي، وساد الرجل والمجتمع الذكوري اندلعت هذه الحروب وساد العنف والقتل والحصار والتجويع وجميع أشكال الرق والاستعباد في صيغها القديمة والجديدة، وفتحت أسواق النخاسة من جديد.

نايا : وما كان عمل المرأة في ذلك المجتمع؟

مايا : كانت هي الحاكمة الفعلية في البيت والمجتمع، تقود الجميع إلى السلام والطمأنينة والفرح، ولا تسمح بأي نزاعات يمكن أن تحدث. وكان الأبناء ينتسبون إليها وليس إلى الرجل، وفي فجر مملكتها كان الرجل يقوم بمهمة الصيد ليعود بالغذاء،

وأما هي فكانت تستنبت النباتات في الحقل، وتكتشف القمح وتزرعه، وتدجن بعض الحيوانات وتربيها في المنزل، وتجفف بعض الخضار للشتاء، كان مجتمعاً رخيّاً هنيّاً.

نايا : ثم جاء زمن كان عليها من جديد أن تستجدي حقوقها من الرجل.

مايا : أجل ونشأت المنظمات التي تدعو إلى إعطاء المرأة حقوقها، وتأسست الاتحادات النسائية في العالم.

نايا : لو أن المرأة تستعيد مملكتها وتتخلص من وباء العنف والقتل والحروب التي حملها الرجل معه.

مايا : هناك محاولات عديدة في التاريخ، ولكن المشكلة أن المرأة تستخدم أساليب الرجل نفسها لاستعادة مملكتها أو في ممارستها للحكم فلا تنجح. ومن أمثلة ذلك:كيلوباترا ملكة مصر، وزنوبيا ملكة تدمر، وشجرة الدر سلطانة مصر.

نايا : شجرة الدر! دفترها عندي.

مايا : حسن، اقرئي لنا من دفتر شجرة الدر، هذه المرأة التي أرادت أن تسترجع مملكة المرأة فخسرت المملكة وخسرت حياتها.

(إظلام)

- دفتر شجرة الدر -

(بقعة ضوء على الراوي يعلق كشكولاً على كتفه فيه كتب ومخطوطات وأشياء أخرى. يتناول من الكشكول كتاباً ثم يعيده، يتناول مخطوطة ليقرأ منها).

الراوي: نحن الآن في عام ١٢٤٩م ٦٤٨هـ وسلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب في الشام يحارب الملوك الأيوبيين في نزاعات مستمرة على السلطة والبلاد، وزوجته شجرة الدر في القاهرة تنوب عنه في الحكم وتشاركه مهمات إدارة البلاد.

الصليبيون في الساحل يحتلون المدن والقرى، وتصل الأنباء بنزول لويس التاسع ملك فرنسا في بر مصر في حملة صليبية سابعة. ويعود السلطان إلى مصر للدفاع عنها، ويتحصن في المنصورة، وتسقط دمياط من غير قتال بسبب هرب حاميتها، ويتهيأ الفرنجة للزحف على القاهرة، وفي هذه الأيام السوداء يموت السلطان وتتحمل زوجته الخوارزمية شجرة الدر مسؤولية الحكم والدفاع.

* * *

(العرش السلطاني خالٍ، وشجرة الدر تسير جيئة وذهاباً وهي تفكر، ووصيفتها مايا ترتب بعض الزهور في أصيص).

شجرة الدر : متى وصلتِ يا مايا؟

مايا: وصلت الآن.

شجرة الدر : وهل جرى كل شيء كما طلبت؟

مايا : أجل يا مولاتي. حملنا جثمان السلطان في مركب إلى القاهرة ووضعناه في جزيرة الروضة.

شجرة الدر : وما هذا الثوب الذي تلبسينه.

مايا : **(تبتسم)** هذا ثوب الريش أرتديه لإنجاز المهمات السريعة.

شجرة الدر : إنها فترة عصيبة يا مايا.

مايا : وأنت أهل لها، فقد تمرست في الحكم مع زوجك السلطان الراحل.

شجرة الدر : صحيح، ولكن الوضع الآن حرج جداً، ولا بد أن يكون أحد بجانبي.

مايا : اعذريني يا مولاتي، لقد عرفت ذلك فأرسلت وراء قائد الجيش المصري الأمير فخر الدين يوسف ورئيس القصر السلطاني الطواشي جمال الدين محسن. وقد وصل الأمير فخر الدين يوسف وهو في الباب.

شجرة الدر : دعيه يدخل يا مايا. **(تخرج مايا).**

هذه الفتاة أمرها محيِّر، تارة تقول إن السلطان قد اشتراها وأهداها لي وأنا لا أذكر ذلك، وتارة أخرى تقول إنني اشتريتها عندما كان السلطان سجيناً في الكرك ثم خرج من السجن ليتولى عرش مصر وأنا لا أذكر ذلك أيضاً. ولكنها فتاة ذكية ومخلصة ومدهشة، تأتي بأمور عجيبة فإما أنها وليّة من أولياء الله أو أنها فتاة من الجن.

(يدخل الأمير فخر الدين).

فخر الدين : السلام على مولاتي عصمة الدين أم خليل شجرة الدر.

شجرة الدر: وعليك السلام يا فخر الدين. لقد أرسلت في طلبك لأمر هام.

فخر الدين : وما هذا الأمر يا مولاتي.

شجرة الدر : تعلم أن السلطان مريض.

فخر الدين : أعلم ذلك، شفاه الله.

شجرة الدر : لقد توفّاه الله، ولا راد لقضائه.

فخر الدين : أحقاً ما تقولين ؟

شجرة الدر : أجل ولا وقت للحزن، فالفرنجة في دمياط، ويجب أن نخفي أمر وفاة السلطان لئلا يثبِّط ذلك من عزيمة الجند ويضعف معنوياتهم، وقد أرسلت جثمانه خفية إلى القاهرة.

فخر الدين: رأي صائب يا مولاتي، ولكن كيف نسيِّر الأمور والسلطان ميت؟

شجرة الدر: لقد ترك لي أوراقاً وقعها قبل أن يموت سنستخدمها أنا ورئيس القصر السلطاني جمال الدين محسن في إصدار الأوامر، وقد أرسلت زعيم المماليك البحرية فارس الدين أقطاي الجمدار إلى حصن كيفا كي يستدعي ابنه تورانشاه ليحكم مصر بعد أبيه، وأخذت العهد على المماليك بمبايعته ولياً للعهد.

فخر الدين: هذا عمل جيد يا مولاتي، واسمحي لي أن أعود إلى جبهة القتال فالإفرنج يقومون باستعدادات مريبة. ومكانك الآن في المنصورة آمن.

شجرة الدر: ليس هنالك من مكان آمن والعدو على أرض مصر. اذهب في رعاية الله.

(يخرج فخر الدين وتدخل مايا).

مايا : يا مولاتي، قلبي يحدثني بأن النصر قريب.

شجرة الدر: وهل تقرئين الغيب، موقفنا صعب جداً؟ حدثيني يا مايا عن زنوبيا ملكة تدمر.

مايا : أنا أعرفها جيداً لقد رافقتها في محنتها.

شجرة الدر: رافقتها! أنت تهذين يا مايا.

مايا : **(مرتبكة)** عفواً، أقصد أنني قرأت عنها. كان طموحها أكبر من إمكانياتها.

شجرة الدر: كان من الجنون أن تتحدى روما والإمبراطور القوي أورليان.

مايا : كان طموحها أكبر من الاستقلال بمملكة وسط البادية، كان طموحها أن تعيد مملكة المرأة لتسود العالم من جديد.

شجرة الدر: وهل تظنين أنني أقل طموحاً منها؟

مايا : أوه.. مولاتي.. في مثل هذا الطموح كانت مصارع المرأة.. آه.. لقد نسيت أن أخبرك أن الأمير ركن الدين بيبرس بالباب ينتظر.

شجرة الدر: **(فرحة)** أوه.. بيبرس.. رفيق الرق والعتق.. أدخليه يا مايا.

(تخرج مايا، وتقف شجرة الدر أمام المرآة وتصلح من هندامها وشعرها. يدخل الأمير ركن الدين بيبرس).

بيبرس : السلام على مولاتي عصمة الدين أم خليل شجرة الدر.

شجرة الدر : وعليك السلام يا بيبرس، كيف حالك ، ومنذ متى لم نلتق.

بيبرس : منذ أن أعتَقَنا السلطان الصالح نجم الدين أيوب.

شجرة الدر: عليه رحمة الله.

بيبرس : إذن فقد مات السلطان كما وردني الخبر ولم أصدق.

شجرة الدر: نعم.. تعلم أنه مريض، وقد أمرت بأن يبقى الأمر سراً لئلا يطمع فينا الفرنجة وتفتر عزيمة الجند.

بيبرس : أحسنت صنعاً يا مولاتي.

شجرة الدر : نحن رفيقا درب واحد، كنا مع نجم الدين قبل أن يصير سلطاناً، وخصَّنا برعايته وأعتقنا معاً، وكان بيننا مودة.

بيبرس : بل أكثر من ذلك يا مولاتي.

شجرة الدر: عواطفنا واحدة، ولكن فلنحترم ذكرى الرجل الصالح الذي جعل مني زوجة ومنك أميراً. وأنا التي رافقته في سجنه في الكرك، وأنت الذي بقيت مخلصاً له.

بيبرس : وها أنذا مخلص له حياً وميتاً ومخلص لزوجته من بعده.

شجرة الدر : هذا ما كنت أريده. يا بيبرس أنت معروف برأيك الصائب في الأمور الحربية، ونحن مقبلون على أيام شديدة.

بيبرس : بماذا تأمرني سيدتي؟

شجرة الدر: أريد خطة تفاجئ العدو وتحقق نصراً حاسماً.

بيبرس : لقد فكرت في الموقف جيداً يا مولاتي، ولديَّ خطة آمل أن تحوز رضاك.

شجرة الدر: كلي آذان صاغية، هات ما عندك.

بيبرس : إن العدو يا سيدتي أفرحه ما حدث بدمياط حيث دخلها خالية وبلا قتال وقد أعدم السلطان بعض قادة العربات لجبنهم وهربهم، ولهذا فإن العدو يعتقد بأنه يستطيع أن يحصل على المنصورة بالطريقة نفسها في اندفاعه نحو القاهرة، وأن أهل المنصورة وعساكرنا سيخلونها قبل وصول الفرنجة ليتمكنوا من الدفاع عن القاهرة؛ فهو يعتقد أن المعركة الكبرى ستكون على أسوار القاهرة، أتوقع هجوماً قريباً للعدو وخاصَّةً وأن أحد أصحاب العربات الهاربين سرّب إلى العدو بأن السلطان قد مات، ولهذا سآمر بأن يختبئ العساكر في المنصورة ، ويلزم أهلها السكون التام حتى تبدو خالية من أهلها، فإذا دخل الفرنجة أغلقنا الأبواب وحاربناهم في الأزقة والحارات وفوق الأسطحة. فهل توافقين على هذا الرأي؟

شجرة الدر: أنا موافقة وسأبلغ قائد الجيش بالتزام الخطة.. وفقك الله يا ركن الدين .. يا صديق الدرب.

بيبرس : وسأكون دائماً بجانبك يا سلطانة مصر وسيدة القلب.

شجرة الدر: شكراً أيها الأمير، هذا الكلام يفرحني ولكن اجعله مخبوءاً فنحن في حضرة الحرب والموت.

تستطيع أن تذهب وإذا جد أمر فقابلني فوراً وكن بجانبي وكن أول من يبشرني بالنصر.

بيبرس : حاضر يا مولاتي.

(إظلام)

* * *

(بقعة ضوء على الراوي، يتناول من الكشكول مخططا للمنصورة ويفرده أمام الجمهور)

الراوي: جرت معركة المنصورة كما خطط لها الأمير ركن الدين بيبرس البند قداري، كان نصراً كبيراً للمسلمين.

الفرنجة بين قتيل وأسير، وقوات الفرسان الصليبيين الذين وصلوا لدعم الحملة بقيادة روبرت دارتوا أخي الملك أفنيت عن آخرها وقتل قائدها، وملك فرنسا لويس التاسع أسير في دار ابن لقمان وبعد مفاوضات جلا الفرنجة عن مصر ودفعوا فدية ملكهم وعاهدوا بألا يعودوا لغزو مصر، وفي ذلك قال الشاعر مهدداً:

فقل لهم إن أضمروا عودةً	**لشن حرب أو لفعل قبيح**
دار ابن لقمان على عهدها	**والقيد باق والطواشي صبيح**

(يتناول من الكشكول لفافة قماش فيها صورة تورانشاه ويفردها أمام الجمهور).

تورانشاه آخر السلاطين الأيوبيين في مصر. وصل البلاد بعد أن مهدت شجرة الدر له الطريق وأخذت له البيعة من المماليك، وبدلاً من أن يرد لها الجميل راح يضايقها مطالباً إياها بأموال أبيه وهي تقول له: إنها أنفقتها في الحرب وشؤون الدولة، وخوفاً من بطشه ذهبت إلى القدس ودبرت أمر اغتياله.

(بقعة ضوء على شجرة الدر، مع استمرار الضوء على الراوي).

شجرة الدر: (تخاطب الراوي) من أنت ؟ وماذا تفعل هناك؟

الراوي : أنا الراوي يا سيدتي.

شجرة الدر: وماذا تروي؟ أنت لست كالرواة الذين يروون سيرة بني هلال أو سيرة عنترة؟

الراوي : هذا صحيح، أنا لست أروي قصصاً مخترعة وإنما أروي حقائق تاريخية.

شجرة الدر: وهل من الحقائق التاريخية أن تقول: إنني دبرت أمر اغتيال تورانشاه وأنا التي أخذت له البيعة وسلمته الحكم بعد أبيه؟

الراوي : إذن كيف تم اغتياله؟ أنا أردد ما يقوله المؤرخون.

شجرة الدر: صحيح أن تورانشاه تنكر لجميلي، فأنا التي حفظت له العرش، وراح يضايقني في أموال صرفتها في الحرب، لكنني عندما لمست منه روح الغدر تركت القاهرة وذهبت إلى القدس، وأنا لست من اغتاله أو أمر باغتياله.

الراوي : إذن من الذي فعل ذلك؟

شجرة الدر: لم يكتف تورانشاه بمضايقتي فحسب بل امتد حنقه وغيظه ليشمل أمراء المماليك، أصحاب الفضل الأول في تحقيق النصر العظيم في المنصورة وإلحاق الهزيمة

بالحملة الصليبية السابعة، وبدأ يفكر في التخلص منهم غير أنهم كانوا أسبق منه في الحركة وأسرع في الإعداد فتخلصوا منه بالقتل على يد أقطاي.

الراوي : وبذلك انتهت مملكة بني أيوب في مصر.

شجرة الدر: كان تورانشاه أحمق غادراً ولم يعلم أن أموراً كثيرة قد تغيرت في مصر، وأن والده الذي كانت تحترمه وتطيعه مماليكه البحرية الصالحية قد مضى.

الراوي : وكما يقولون لكل زمان دولة ورجال.

شجرة الدر: أو دولة ونساء.

(إظلام)

* * *

(مايا تضع التاج أمام شجرة الدر).

مايا : ها قد عدنا من القدس وهاهو تاج مصر بين يديك.

شجرة الدر: ما أطمح إليه أكبر من تاج مصر.

مايا : وماذا تطمحين إليه يا سيدتي؟

شجرة الدر: ما أطمح إليه أمران: الأول إكمال المشروع الذي بدأه زوجي نجم الدين أيوب بتوحيد مصر والشام فهما ركنا النصر على الفرنجة.

الراوي : **(بقعة ضوء على الراوي)** لو تعلمين ما حل بالشام اليوم يا مليكتي؟

شجرة الدر: أنت مرة أخرى! يا من تدس أنفك في كل شيء.

الراوي : مهلاً عليَّ يا مولاتي، يا من عرفت بالعقل الراجح، وحسن الاستماع، وفن الإصغاء.

شجرة الدر: **(تبتسم للإطراء)** حسن وماذا حل بالشام من بعدي؟

الراوي : **(يتناول من الكشكول جريدة حديثة ويمكن أن يظهر عنوان لافت عليها حول أحداث الحرب).**

من بعدك بمئات السنين يا سيدتي، دخلها غزاة من كل أنحاء الأرض، أما أهلها فقد شغلتهم الصراعات، فهم يتفننون في إفناء بعضهم بعضاً، وتدمير بلادهم بأيديهم، وراح ضعاف الناس ينزحون ويهاجرون في أنحاء الأرض هرباً من الموت فتلتقمهم حيتان البحر وأسماكه. وأصبحت الشام وطناً مجزءاً ممزقاً شر تمزيق.

يا مولاتي في عصركم يحمد لكم أنكم اتحدتم في حربكم ضد الفرنجة الصليبيين والتتار من بعدهم، وفي عصرنا اتحد العربان إلا أقلهم لحرب أهل الشام وأرسلوا ضدها المرتزقة من كل أنحاء الأرض، والحروب الصليبية يا مولاتي مستمرة.

شجرة الدر: عصرنا وعصركم.. ما هذا الكلام!؟ عن أي عصر تتحدث أيها الراوي؟

الراوي : يا مولاتي أنا راوٍ لكل العصور، وتختلط في كشكولي هذا الأزمنة والأمكنة. اعذريني على هذا الاستطراد وتابعي روايتك. ما الأمر الثاني الذي تطمحين إليه؟ **(تختفي بقعة الضوء عن الراوي)**.

شجرة الدر: الأمر الثاني الذي أطمح إليه يا مايا خاص بي وهو أن تعود المرأة فتأخذ مكانتها في هذا العالم.

مايا : هذه طموحات كبيرة وعسيرة، فلنكتف بهذا التاج يا مولاتي، إنه ربح كبير.

شجرة الدر: **(تمسك التاج بيديها)** وكيف تم هذا الأمر؟

مايا : سيحدثك الأمير ركن الدين بيبرس وهو بالباب.

شجرة الدر: فليدخل.

(تخرج مايا ويدخل الأمير ركن الدين).

بيبرس : السلام على مولاتي عصمة الدين أم خليل.

شجرة الدر: وعليك السلام يا بيبرس، ما وراءك؟

بيبرس : جرت الأمور كما نريد، أَخَذْتُ البيعة لك من جميع الأمراء المماليك، فأنت اليوم سلطانة البلاد.

شجرة الدر: وعلى أية صيغة جرت البيعة؟

بيبرس : جرت هكذا: «المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة خليل أمير المؤمنين».

شجرة الدر: رحم الله ابني خليلاً. وكيف أقنعتهم؟

بيبرس : قلت لهم إن أرملة السلطان نجم الدين أحق بالسلطنة من غيرها، وهي منا فقد كانت مملوكة مثلنا.

شجرة الدر: وغير الأمراء، أقصد عامة الشعب ما رأيهم؟

بيبرس : بعض العامة فرحون، فهم يرون فيك استمراراً للسلطان الراحل نجم الدين أيوب، وبعضهم ساكت، والآخر معارض.

شجرة الدر: والمشايخ؟

بيبرس : المشكلة يا مولاتي مع المشايخ.

شجرة الدر: ومن يقود المعارضة؟

بيبرس : العز بن عبد السلام.

شجرة الدر: سلطان العلماء.. هذا رجل جليل.

بيبرس : ولكنه عنيد.

شجرة الدر: عنيد في الحق كما يراه، كان السلطان يجله ويحترمه ويخشى جانبه.

بيبرس : وجميع الأمراء المماليك يحترمونه.

شجرة الدر: ويخافون شعبيته أيضاً.. قلها بصراحة.

بيبرس : هذا صحيح.

شجرة الدر: والخليفة في بغداد المستعصم بالله، ما رأيه؟

بيبرس : أرسلنا وفداً إلى بغداد يسأله الموافقة.

شجرة الدر: وإذا لم يوافق.

بيبرس : إذن عليه أن يبعد المغول عن مؤخرته. ما مر على الخلافة رجل أفسد ولا أضعف منه.

شجرة الدر: لا يهمني رأيه، ولا موافقته، ولكن يهمني شعبي.

بيبرس : سنعالج الأمور حتى يُجمع الجميع على البيعة.

شجرة الدر: أرجو أن تعالجوها بالحسنى يا ركن الدين.

بيبرس : كما تشائين يا مولاتي.

(إظلام)

* * *

(تبقيع ضوئي متواتر على نقاط معددة من الخشبة يرافق ظهور المتكلم).

(بقعة ضوء على الخليفة المستعصم وهو سكران يشرب الخمرة).

المستعصم بالله: مِن المستعصم بالله خليفة المسلمين، وقاهر الشرك والمشركين، وناصر الحق والدين، إلى مماليك مصر: إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسيّر إليكم رجلاً.

(تختفي بقعة ضوء وتتواضع أخرى على أمير مملوكي).

أمير مملوكي: من الأسر والعبودية خرجنا، كفانا بيعاً وتداولاً في أسواق بغداد وحمص والشام والقاهرة، يبيعنا التجار في أسواق النخاسة ويشترينا المترفون والملوك والفجار. ولأن شجرة الدر منا، عرفت الرق والعتق فقد بايعناها سلطانة على مصر، وعندما استلمت السلطنة أغدقت الأموال والإقطاعيات علينا نحن كبار الأمراء.

انتهى عهد السادة وبدأ عهد المماليك، ولتحيا مصر المحروسة.

(تختفي بقعة الضوء وتتوضع أخرى على العز بن عبد السلام).

العز: أنا العز بن عبد السلام لا أستطيع أن أعطي الفتوى في هذا الأمر. إن شجرة الدر أرملة مولانا السلطان نجم الدين نُجِلُّها ونحترمها، ونعلم أنها محررة، ولكن مبايعتها بالسلطنة وحكم مصر أمر مخالف للشرع. وإذا فكر أي من المماليك أن يتولى حكم مصر فعليه أن يتحرر أولاً من الرق، وهذا هو حكم الشرع.

(تختفي بقعة الضوء وتتواضع أخرى على فلاح مصري يحمل معولاً على كتفه).

فلاح مصري: بايعتُ شجرة الدر لأنها ابنة الأرض، وشقيقة المعاناة مثل كل العاملين والفلاحين المساكين. إنها الأم لنا جميعاً، وقلب المرأة رحيم، وعدتنا بحياة طيبة، ووزعت علينا بعض خيرات البلاد، لقد جربنا حكم الرجال فَجِعنا ونُهبنا وقُتِّلنا، فلنجرب حكم هذه المرأة الطيبة، والسلام لمصر المحروسة.

(رجل تباغته حزمة الضوء وهو يحاول أن يلصق في ذقنه لحية ضخمة جداً وطويلة تصل إلى ركبتيه فيحاول تحاشي الضوء ولكن الضوء يلاحقه).

الملتحي : هذا كفر والعياذ بالله.. أن تتولى امرأة ناقصة عقل ناقصة دين، تحبل وتحيض، وربما تكون غير مختونة أيضاً، الحكمَ في مصر، يا مجير أجِرنا، إنه الكفر الصُّراح.

إننا ندعو جميع المسلمين إلى الخروج في مظاهرات حاشدة من المساجد بعد كل صلاة جمعة هاتفين: الشعب يريد إسقاط حكم النساء..

الدم.. الدم يا مسلمين.

(تختفي بقعة الضوء وتتوضع أخرى على شجرة الدر وهي على العرش ووصيفتها مايا بجانبها على الأرض محتبية وهي تكاد تنتهي من صنع تاج من الزهور لمليكتها).

شجرة الدر: يا لهؤلاء من ناكرين للجميل يا مايا، وأنا التي حققت لهم النصر والجلاء، فما إن جلست على العرش حتى قبضت على زمام الأمور وأحكمت إدارة شؤون البلاد، وكان أول عمل اهتممت به هو تصفية الوجود الصليبي في البلاد وإدارة مفاوضات مع الفرنجة انتهت بالاتفاق مع الملك لويس التاسع الذي كان أسيرًا لديّ بالمنصورة على إخلاء سبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل تسليم دمياط ودفع فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينار، يدفع نصفها قبل رحيله والباقي بعد وصوله إلى عكا مع تعهد منه بعدم العودة إلى سواحل البلاد الإسلامية مرة أخرى..

لست أول ملكة ولا آخر ملكة في التاريخ، القرآن الكريم ذكر ملكة اليمن بلقيس باحترام وأثنى على شجاعتها وحكمتها ورجاحة رأيها في تجنيب وطنها مخاطر الحرب والدمار.

يا لنكران الجميل!

(مايا تنهي عملها وتنهض وتضع على رأس مليكتها تاج الزهور معجبة ومواسية. ترفع بقعة الضوء عن شجرة الدر).

* * *

الراوي : **(يتناول من الكشكول كتاباً)** اشتدت المعارضة على تولي امرأةٍ عرش مصر. كانت المظاهرات والاحتجاجات تخرج من المساجد بعد صلاة الجمعة وتجوب شوارع القاهرة **(أصوات الجماهير في احتجاجات غاضبة)** إنه عصر الذكورة ولم تدرك شجرة الدر أن العصر الأمومي قد أفل. **(تعود أصوات الاحتجاجات)**.

ثمانون يوماً فقط هي مدة حكم السلطانة شجرة الدر اضطرت بعدها إلى التنازل عن السلطة عام (٦٥٠هـ ١٢٥٠م) إلى الأمير المملوكي عز الدين إيبك أتابك(*) العسكر الذي تزوّجته ولقب بالملك المعز. **(يفتح الكتاب ويقرأ)** يقول المؤرخ ابن تغري بردي: كانت شجرة الدر مستولية عليه في جميع أحواله، ليس له معها كلام. وبلغت بها السيطرة عليه أن منعته من زيارة زوجته وابنه.

إنها ملكة مصر.. ولكنها امرأة أيضاً لم تتخلص من غيرة النساء وحب تملك الرجل والسيطرة!

شجرة الدر: مهلاً أيها الراوي اقرأ ما كتبه هذا المؤرخ في الصفحة التالية.

الراوي : حاضر **(يقلب صفحة ويقرأ)** وكانت شجرة الدر خيّرة دَيِّنة، رئيسة عظيمة في النفوس، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البِرّ، معروفة بها.

(*) الأتابك معلم ومربي أبناء الملوك.

(يغلق الكتاب ويتابع الرواية).

وهكذا ظلت شجرة الدر تحكم باسم زوجها الملك المعز ثم تقاسمه وتنافسه في تصريف شؤون الدولة إلى أن اشتد عوده وراح يبعدها عن الحكم ولزمت السكنى في القلعة.

(ضوء على شجرة الدر).

شجرة الدر: نعم لزمت داري في القلعة، كان يجب أن أفعل ذلك، لا أريد أن يسيل دم في شوارع القاهرة.

(ضوء على الراوي).

الراوي : ولما تخلص الملك المعز من أكثر الأمراء شراسة فارس الدين أقطاي سنة (٦٥٢ هـ١٢٥٤م) هرب كبار مماليك البحرية إلى الشام.

(ضوء على شجرة الدر).

شجرة الدر: استدرجه إلى قلعة الجبل واغتاله بسيف مملوكه سيف الدين قطز وألقى برأسه إلى المماليك البحرية الذين تجمعوا تحت القلعة مطالبين بالإفراج عنه وفر المماليك البحرية من مصر إلى سوريا والكرك وسلاطنة الروم السلاجقة وأماكن أخرى، وكان في مقدمتهم بيبرس وقلاوون الألفي وبلبان الرشيدي وسنقر الأشقر الذين فروا إلى دمشق.

(ضوء على الراوي).

الراوي : اتخذ الملك المعز لنفسه مماليكه الخاصة وسماها المماليك المعزّية وأصبح الحاكم الأوحد في مصر، لكن شجرة الدر قررت أن ترسله إلى «موت» كما فعلت عشتار مع تموز.

إنه الصراع الأبدي.

(ضوء على شجرة الدر ووصيفتها مايا تجلس بجانبها).

شجرة الدر: يجب أن أرسله إلى «موت» فقد أصبح طاغية مصر.

مايا : يا سيدتي دعيه ولا تكرري خطيئة عشتار.

شجرة الدر: يجب أن يموت يا مايا، سلبني عرشي وهجر فراشي.

مايا : يا سيدتي، مهلاً، أنت غاضبة لأنه بدأ في اتخاذ خطوات للزواج من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

لا تليق بك غيرة النساء يا مولاتي.

شجرة الدر: وهل أنا إلا امرأة يا مايا، ما الذي يراه في تلك الفتاة ولا يراه فيّ. أنا التي كنت أملأ قلب السلطان نجم الدين أيوب وعقله وأشاركه الحكم.

(ضوء على الراوي وهو يفتح الكتاب ويقرأ فيه).

الراوي : وكتبت إليه مصالحة تدعوه إلى فراشها بالكلمات المعسولة تسترضيه وتعتذر عما حصل، وتمنيه الأماني العذاب فانخدع بكلامها وذهب إلى القلعة حيث لقي حتفه هناك خنقاً في ٢٣ ربيع الأول ٦٥٥ هـ (١٢٥٧م). وقالت لمماليكه المعزّية إنه قد مات فجأة في الليل فلم يصدقوها، وقبضوا عليها وسلموها إلى زوجته فضربتها وصيفاتها بالقباقيب ورموها من أعلى القلعة جثة هامدة.

(بقعة ضوء على شجرة الدر مع استمرار البقعة الأخرى على الراوي).

شجرة الدر: هيه.. أنت.. أيها الراوي الغبي. سلطانة مصر تموت ولكن لا تضرب بالقباقيب، ما هذا بحقيقة.

الراوي : **(ينقر على صفحة الكتاب مشيراً إليه)** انظري، هذا ما كتبه المؤرخون عنك يا سيدتي.

شجرة الدر: الحقيقة هي ما أكتبه أنا عن نفسي لا ما يكتبه المؤرخون.

الراوي : وماذا تكتبين عن نفسك؟

شجرة الدر: سترى.

(إظلام)

* * *

(إضاءة.

شجرة الدر على العرش في كامل بهائها وزينتها وتاجها والصولجان في يدها. ووصيفتها مايا أمامها وفي يدها سلة تين).

شجرة الدر: هل أحضرت ما طلبته منك يا مايا.

مايا : نعم يا مولاتي، هذه سلة التين وفيها الأفعى.

شجرة الدر: ألم يرك أحد وأنت قادمة؟

مايا : تعلمين أنه لا أحد يراني غيرك، كما هيأت لك ثوبك وتاجك وصولجانك كما أمرت.

شجرة الدر: **(تقرب السلة منها)** وهل مفعول سم الأفعى فيها سريع وشديد.

مايا : لدغة واحدة ويشعر المرء بلذة عظيمة ويسافر سريعاً إلى العالم الآخر.

شجرة الدر: أحسنت يا مايا. تستطيعين أن تنصرفي.

مايا : سيدتي.

شجرة الدر: ماذا تريدين يا مايا؟

مايا : سيدتي ألا تخلطين بين شخصيتك وشخصية كليوباترا التي انتحرت بالطريقة نفسها؟

شجرة الدر: هذه مصر، وأنا كليوباترا، وليس المعز الذي جاء يغتصبني ويغتصب عرشي إلا أوكتافيوس.

لا أحد يستطيع أن يغتصب شجرة الدر وعرشها.

انصرفي يا مايا .. يا قرينتي وصديقتي.

(تخرج مايا).

(إظلام وإضاءة وموسيقا جنائزية.

شجرة الدر على عرشها في كامل أبهتها وهي ميتة مبتسمة، وعلى صدرها أفعى صغيرة تنسل).

- ستارة النهاية -

حلب ٢٠١٥/٨/٢٤

يوتوبيا
عين تسنيم

مسرحية

الشخصيات

رجل الآثار

نارام: ويؤدي أيضاً أدوار:

- **نارام سن ملك أكاد.**
- **نيرون إمبراطور روما**
- **النمرود الملك الآشوري**

صوفيا : دكتورة في علم النفس الاجتماعي ومعالِجة نفسية.

نيرمين: وباسمها نفسه تؤدي أيضاً أدوار:

- **نيرمين زوجة نارام سن**
- **نيرمين عشيقة نيرون**
- **نيرمين من بغايا المعبد**

مسؤول التخطيط

المسؤول الاجتماعي

المارد

نارام هو الشخصية الرئيسية في المسرحية، في حوالي الخامسة والأربعين من عمره، وهذه الشخصية ستحمل ثلاثة مستويات زمنية:

الأول : نارام وقد أفاق من النوم بعد ألف سنة.

الثاني : نارام الحالي أي زمن كتابة أو عرض المسرحية قبل أن يستغرقه التنويم المغناطيسي، وإلى جانبه دفتر مذكراته يقرأ فيه أفكاره المتناثرة وتفاصيل حياتيةٍ يومية.

الثالث : نارام كرمز للإنسان عبر العصور، ويأخذ لبوس شخصيات تاريخية أو أسطورية قديمة.

* * *

نارام لديه القدرة على أن يعيش الزمن الحاضر، وأن يُبعث من الزمن الماضي، وأن يتخلّق في الزمن القابل.

نارام تختلط في حياته الأزمنة الثلاثة والأمكنة، وهو فوقهما، وحتى الموت فإنه ضرب من الوهم لا يدركه.

نيرمين شخصية نسائية ملازمة ومغايرة لنارام، ولها صفاته الزمانية والمكانية، وتشكل معه ثنائياً جدلياً يختصر الحياة.

الديكور بالرغم من أسسه الشرطية الواقعية فإنه يولي الجانب التعبيري أهمية خاصة ليوقع الأجواء العامة في شَرَك الغموض الفني ورحابة الحلم وشفافيته.

- المشهد الأول-

(بقعة ضوء على رجل الآثار يتحدث في الهاتف يمين المسرح على خط المنظر).

رجل الآثار: ألو.. معكِ مديرية الآثار، عفواً دكتورة.. أعرف أنها عيادة نفسية ولكنَّ هنالك أمراً غريباً فعلاً، لقد وجدنا أثناء عملنا في بيت أثري قديم جداً وفي قرية دارسة رجلاً بهيئة غريبة وملابس قديمة.. لا.. ليس بميت، إنه حي، وتنفسه بطيء جداً، ونعتقَد أنه نائم وقد حاولنا إيقاظه فلم نستطع، لقد قدرنا أن هنالك شيئاً نفسياً في الأمر ولهذا اتصلنا بك دكتورة صوفيا.. عمره..؟.. هو رجل في حوالي الخامسة والأربعين.. حتى الآن لم نجد معه ما يثبت هويته، نقلناه مع محتويات غرفته إلى المشفى في غرفة خاصة في انتظار قدومك.. شكراً دكتورة.

- المشهد الثاني -

إضاءة على خشبة المسرح.

المكان غرفة في مشفى منتجع مطلة على حديقة، الغرفة مجهزة بأحدث الأثاث والتقنيات ووسائل الراحة.

نارام يمارس هوايته بإحدى الألعاب في حاسب صغير حديث جداً كالآيباد المطوّر، واللعبة تصدر بعض الأصوات الطبيعية الجميلة كزقزقة الطيور وتغريد البلابل أو موسيقى ناعمة.

تدخل الدكتورة صوفيا ضاحكة مرحة، وهي شابة جميلة جداً في الثلاثين من عمرها).

صوفيا : اليوم وجهك مشرق، أنت تستعيد صحتك والحمد لله.

نارام : هذا بفضلك دكتورة صوفيا.

صوفيا : هل أعجبك هذا الحاسب، إنه صغير ولكن إمكاناته كبيرة جداً وبالطبع هو موصول بالإنترنيت والفضاء.. هل هنالك من مشكلة ما؟

نارام : كلا.. حاولت الدخول إلى بعض المواقع فلم يستجب فرحت أتسلى بالألعاب فيه. ألا يوجد ألعاب أخرى في هذا الجهاز؟

صوفيا : ألعاب مثل ماذا؟ فيه أكثر من ثلاثمائة لعبة.

نارام : ألعاب مصارعة، ملاكمة، مبارزة بالسيوف، قتال بالمسدسات، ألعاب حرب.

صوفيا : كلا.. لا يوجد.. هذه أمور يرفضها المرء الذي يريد الراحة والسلام. ألا تعجبك الموسيقى وأصوات الطبيعة؟

نارام : تعجبني جداً، ولكنني لا أتصور جهازاً حديثاً مثل هذا يخلو من تلك الألعاب.

صوفيا : اسمع يا نارام. بين عصرنا وعصرك أكثر من ألف عام.. كل شيء مختلف الآن.

نارام : ألف عام! وما هذه العبارات: عصرنا وعصرك؟ لا أدري عمّ تتحدثين.

صوفيا : سأشرح لك الأمر، عليك أن تساعدني.

نارام : أنتم تخفون عني أشياء كثيرة. أنا هنا منذ فترة في هذا المشفى في غرفة منفردة ومعزول عن العالم الخارجي.

صوفيا : هذا منتجع وليس بمشفى فحسب، والكثيرون يحلمون في الإقامة فيه. هل تشكو من الخدمة هنا.

نارام : كلا.. الخدمة ممتازة جداً، ولكني سألتهم عن طبيبي النفسي الذي يعالجني فلم يجبني أحد. لا أدري كيف لا يعرفونه وهو أشهر أطباء النفس في المدينة.

صوفيا : هذا رائع، إذن كنت ُتعالج نفسياً من مرض ما.

نارام : نعم، كنت مصاباً بالاكتئاب، فترددت على عيادة صديقي الدكتور أفرام، قال لي: الأمر خطير، هناك بوادر فصام في الشخصية.. ثم راح يعالجني في منزلي فهو جاري أيضاً وبيته قريب من بيتي. أوه ولكن لماذا أرهق أذنيك بهذا الحديث.

صوفيا : بالعكس أنا مهتمة جداً، تابع الحديث.

نارام : مسكين دكتور أفرام كان يصاب بين الحين والآخر بأزمات قلبية وينجو منها بصعوبة، قال لي بعد عدة جلسات معالجة: أريد أن أعرف كل شيء عن ماضيك، وسأقوم بتنويمك مغناطيسياً. وعلى الرغم من أنه كان في ذلك اليوم يحس بوخز في صدره وبوادر أزمة قلبية فقد أصر على تنويمي مغناطيسياً.

صوفيا : حسن، وبعد ذلك ماذا حدث؟

نارام : هذا آخر ما أتذكره، ثم وجدتك أمامي، وحين فتحت عيني خلت نفسي في الجنة وأنك واحدة من الحور العين.

صوفيا : **(تبتسم)** شكراً، ولكنك لست في الجنة ولستُ من الحور العين، وأنت الآن في مدينة عين تسنيم.

نارام : عين تسنيم..؟ لم أسمع باسمها من قبل، هل ما زلْت تحت تأثير التنويم؟

صوفيا : كلا.. أنت يقظ تماماً وقد وضح لنا كل شيء عنك.

عين تسنيم حقيقة موجودة مثلما أنت حقيقة ظاهرة للعيان.

لا شك أن طبيبك قام بتنويمك ثم أصيب بأزمة قلبية مفاجئة فتركك نائماً وذهب إلى مشفى الأمراض القلبية للعلاج، لكنه توفي في الطريق أو في المشفى وبقيت أنت نائماً حتى جئت أنا وأيقظتك.. طبعاً هذا احتمال.

نارام : هذا شيء لا يصدق.

صوفيا : قد تحدث أحياناً أمور خارجة عن الطبيعة، وفريدة من نوعها. أهل الكهف ناموا ثلاثمئة عام ويزيد ثم أفاقوا من نومهم، وعُزَير نام مئة عام ثم أفاق من نومه وطعامه بجانبه لم يفسد ورأى حماره قد مات ولم يبق منه غير عظامه، ثم اكتست أمامه عظام الحمار لحماً وجلداً وشعراً وعاد حياً.

النوم يا عزيزي هو نوع من الموت، وهنالك أبحاث مستمرة منذ عصركم على تجميد الإنسان وإيقاظه بعد فترة طويلة.

نارام : وكم بقيت نائماً؟

صوفيا : هنا المشكلة وقد لا تصدق.

نارام : وما الداعي لفتاة جميلة عالمة أنقذتني مما أنا فيه أن تكذب عليّ؟

صوفيا : قد يصدمك ما أقول. إنها حالة فريدة من نوعها.

نارام : لن يصدمني أكثر مما شهدَته عيناي من محن ومصائب في حياتي.

صوفيا : لقد بقيت نائماً حوالي ألف عام يا نارام.

نارام : **(ذاهلاً)** ألف عام..! غير معقول..! وكيف عرفت؟

صوفيا : قرأت صفحات من دفتر مذكراتك، كما أننا شكلنا لجنة لفحص ودراسة آثارك في البيت الذي وجدناك فيه.

نارام : إنه بيتي وكان الطبيب بحكم صداقتنا يأتي إلي ويعالجني فيه. ولكن أين هي حاجياتي؟

صوفيا : هذه هي حاجياتك التي وجدناها معك لم ينقص منها شيء.

(تسلمه علبة فيها أغراضه).

نارام : **(يستعرض أغراضه)** نعم هذه ساعتي، وهذه كاميرتي، وهذا هو هاتفي المحمول، وهذه هي النقود التي كانت معي لا أدري إن كانت تُصرف هنا؟

صوفيا : دعك منها إنك لن تحتاج إليها.

نارام : آه.. هذه صورة زوجتي التي توفيت وهي شابة **(تنعكس صورتها على الشاشة، إنها تشبه صوفيا جداً)** كنت أحبها بجنون، الطبيب يؤكد أن حزني عليها أثّر في صحتي.. أوه.. إنها تشبهك تماماً.. كأنكما توأم، هذا عجيب.

صوفيا : فعلاً هي تشبهني **(تضع أمامه علبة دواء)** يبدو أنك كنت تعاني من آلام في الكليتين.

نارام : نعم، هذا صحيح.

صوفيا : لن تحتاج إليه هنا، نحن نعالج هذه الأمراض بالأشعة. وجدنا على طاولتك فنجانين من القهوة لم يُرتشف منهما إلا رشفة واحدة أو اثنتين. حتى قهوتك لم تفسد **(مازحة)** هل تريد أن تكمل شربها، لكنها باردة.

نارام : كان الدكتور أفرام عندما يزورني في بيتي للعلاج يحب أن يشرب القهوة أولاً، وفي ذلك اليوم بدأ بتنويمي قبل أن يكمل قهوته.

صوفيا : **(تبتسم)** يبدو أن طبيبك كان صاحب مزاج.

نارام : نعم.. وهل سأبقى طويلاً هنا؟

صوفيا : كلا.. أنت الآن في فترة تأهيل واستكمال العلاج الذي بدأه طبيبك أفرام.

نارام : **(مازحاً)** عدا التنويم المغناطيسي أيتها الملاك.

صوفيا : لن يكون هنالك تنويم مغناطيسي، هذه طريقة عتيقة في العلاج، كما أن العلاج اليوم لا يشعر المرء فيه بأنه تحت العلاج، إنها طرق حديثة جداً، رياضية فيزيائية وتتعلق أيضاً بحسابات فلكية خاصة. لقد وصلنا إلى أسرار مذهلة في النفس وعلاقاتها مع الأجرام والأجسام الكونية والأرواح الكلية والأنوار القاهرة في الكون.

نارام : هل لديكم مرضى على شاكلتي كثيرون؟

صوفيا : مثل هذه الأمراض انقرضت مع تغير البنى الاجتماعية وانعدام المشكلات الاجتماعية وزوال المنغصات والمحبطات للإنسان، وتحقيق السعادة المطلقة لجميع المواطنين.

نارام : اعذريني.. إذن ما ضرورة وجود أطباء نفسيين مثلك في مثل هذا المجتمع؟

صوفيا : الأطباء النفسيون يعالجون الناس هنا من تأثيرات فرط الراحة والسعادة والطمأنينة، أغلب عملهم ينحصر في إثارة بعض القلق والحزن في النفوس.

نارام : ما أسمعه أمر غريب فعلاً. كنت أظن أن ضغط الحياة على الإنسان، وما يصيب نفسه من خلل، وحده يستدعي الذهاب إلى الطبيب.

صوفيا : لا بد من استكمال جدلية الحياة في مختلف جوانبها ومجالاتها لاستمرار الوجود الإنساني. إن بعض القلق والحزن والألم وغيرها من الوجه المعتم للحياة هو ضروري لتحقيق الجدلية واستمرار بحث الإنسان عن سعادته وفردوسه، فالسعادة هي في ركوب الطريق إليها وليس في الوصول إلى نهاية الطريق، فالنهايات دائماً تحمل السأم والضجر والملل، وبها تفقد الحياة بريقها ونبضها.

نارام : **(مازحاً)** أخشى أن تكون الجنة الوارفة وملذاتها والحور العين غداً مبعثاً للسأم والضجر.

صوفيا : لديك روح مرحة يا نارام. بالمناسبة هذا هو دفتر مذكراتك، آسفة لأنني اطلعت عليه، لكن ذلك كان ضرورياً.

نارام : لا عليك **(يتناول الدفتر منها ويفتحه ليقرأ فيه).**

(إظلام)

- المشهد الثالث -

(تضاء شاشة لعرض الشرائح الضوئية (السلايتات) على المسرح وينعكس عليها صفحات متتالية من المذكرات).

صوت نارام: (يقرأ الكلمات المنعكسة على الشاشة ويمكن أن يكون الصوت تسجيلياً، وكلما أنهى نارام قراءة مقطع قلبت الصفحة تلقائياً وفتحت على مقطع جديد من المذكرات، وإذا كانت الشاشة مشغولة بعرض مشهد مصاحب فإنه يتم قلب الصفحة في مربع في أعلى ويسار الشاشة).

الجمعة ٢٠١٤/٦/٦

- منذ سنوات لم أعد أحتفل بعيد ميلادي، حتى زوجتي الميتة نيرمين نسيت أن تزورني في الحلم وتقول لي كل عام وأنت بخير.

(تنعكس على الشاشة صورة الأب المقعد وهو في الثمانين من عمره في هيئة مُزرية يقرأ في المصحف، تتم مزاوجة الصورة بصفحة جديدة وصوت نارام يقرأ).

- في مثل هذا اليوم توفي والدي وقد بقي مقعداً في داري ثماني سنوات، لا أدري لِمَ يَذكِّرني بشخصيتَيْ ناج ونل في مسرحية لعبة النهاية لبيكيت.. إنها لعنة السن العتية.

(تنعكس على الشاشة شخصيتا ناج ونل في مسرحية بيكيت وكل منهما يمد رأسه من برميل حشر جسمه فيه وهو بالأصل مخصص للقمامة، وتقلب صفحة جديدة).

- تمر ذكرى نكسة حزيران باهتة وليس من يذكرها فنحن اليوم في نكسة أكبر ومصيبة أعظم، والأمة اليوم محشورة، حالها اليوم كحال ناج ونل، وهام وكلوف(*).

الأربعاء ٢٠١٤/٧/٨

(تنعكس على الشاشة لوحة مرسومة بالطريقة التعبيرية تمثل مدينة محاصرة بالغيوم السوداء والتماعات الصواعق وأشباح الناس المتعبين تتوزع في طرقاتها، وتقلب صفحة أخرى).

- حاولت الحصول على رغيفين وبضع حبات من البندورة ففشلت، المدينة محاصرة وهي بلا ماء ولا كهرباء ولا حليب للأطفال.. هذا يذكرني بهمجية حصار المدن في التاريخ المتوحش القديم. **(يتابع القراءة).**

(*) شخصيات مسرحية لعبة النهاية لبيكيت.

هل سمعت بالمعبر؟ إنه يفصل بين شطري مدينة واحدة أكلتها الحرب، وفي المعبر يلتقي أفراد العائلة الواحدة الموزعة على شطري المدينة، وفي المعبر تتم عمليات البيع والشراء المختلطة بالدماء حيث لا يسلم الناس من رصاص القناصين وهجمات الذئاب البشرية.

(تُقلب صفحة جديدة).

- الإنسان كلما تقدم في العلوم والتكنولوجيا ازداد وحشية وعاد إلى عصر الفتوحات الهمجية بأشكال جديدة وأنيقة، وفقد روابطه الإنسانية، وأصبح مصاباً بجفاف الأعصاب لا يحس بآلام الآخرين

(تقلب صفحة جديدة).

مع نشوء الدولة بدأ الطغيان، وأول إمبراطورية في التاريخ إمبراطورية أكاد في وادي الرافدين قامت على الدم والتدمير وإشعال الحرائق في المدن الآمنة.

(تظلم شاشة العرض).

- المشهد الرابع-

ملك أكاد حزين ووحيد

(تتغير الإضاءة لتدل على العودة إلى زمن تاريخي معين في الحوار، وتصبح إضاءة خفيفة وشاحبة ، ويمكن استعمال ستارة من الموسلين الرقيق الشفاف بحيث تبدو الشخصيات مثل أطياف.

يدخل نارام ويتناول من المشجب ثياب نارام سن ملك أكاد ويرتديها.

نارام سن يجلس على العرش ثم ينزلق عنه ليجلس على الأرض حزيناً محتبياً يخفي رأسه بين كفيه، وتاجه مرميٌّ على الأرض بجانبه، والشخصية هنا تتمثل شخصية نارام سن الفاتح الأكادي (٢٢٦٠-٢٢٢٣ ق.م) تدخل نيرمين.

نيرمين : نارام أنت اليوم حزين ووحيد، ماذا أصنع لأدخل السرور إلى قلبك؟

نارام : أنا لست نارام الذي تتصورين، أنا نارام سِن(*) ملك أكاد.. لماذا تريدين إهانتي يا نيرمين؟

نيرمين : حسن، نارام سِن ملك أكاد وفاتح العالم يجلس وحيداً وحزيناً..! أنا لست أقصد إهانتك.

نارام : دعيني نيرمين لأحزاني.. لقد تخلى إلهي «سن» عني، كل شيء هباء.. كل شيء هالك.. عبث هي الحياة.

نيرمين : هل صرت كاهناً أم فيلسوفاً يا رجل السيف والدم؟ قل لي ماذا حدث لمؤسس أول إمبراطورية في التاريخ.

نارام : تعلمين يا نيرمين أنه قديماً لم يكن بقدرة ملك من الملوك أن يكتسح أرمان وإبلا. وقد شق «نركال» الإله لي طريقاً وأعطاني «أرمان» و«إبلا»(**).

(*) سن إله القمر.

(**) رقيم أكادي، وأرمان هي مدينة حلب، وإيبلا عاصمة مملكة قوية تم اكتشاف موقعها حديثاً من قبل بعثة آثارية إيطالية و تقع قرب حلب.

نيرمين : نعم أعلم ذلك.

نارام : وأنني حاربت العيلاميين في إيران ودخلت عاصمتهم سوسة وانتصرت عليهم.

نيرمين : أجل، وكان انتصاراً عظيماً.

نارام : وأنني حاربت اللولوبيين في جبال زاغروس وضممتهم إلى مملكة أكاد.

نيرمين : نعم أعلم ذلك وما كان لملك أن يتسلق الجبال العالية ويصل إلى هناك.

نارام : وتعلمين أنني أعدت فتح الممالك التي فتحها جدي بعد أن تمرَّدت على أكاد وانفصلت، وأنني قمت بأعمال عمرانية واسعة ونظمت الحياة الاجتماعية في البلاد وسرت على القوانين الموحدة التي نشرها جدي سرجون وجعلت اللغة الأكادية لغة رسمية في جميع البلاد.

نيرمين : أنت قمت بأعمال عظيمة حقاً.

نارام : ولأنني فعلت كل ذلك فقد نحت لي المثّالون مسلة سجلوا فيها انتصاراتي ونصبتها هناك فوق رأس جبل شاهق.

نيرمين : هذا يجب أن يجعلك فخوراً وسعيداً فلماذا أنت يائس وحزين يا نارام ؟

نارام : اليوم تثور عليّ سومر، وينحدر من الجبال الشرقية أقوام من الهمج هم الكوتيون(*) يدمرون المدن الجميلة التي أنشأْتها، ويلحقون الهزائم بجيشي، إنهم أقوياء جداً، وهم كالجراد يقتلون ويحرقون ويأكلون الزرع والضرع، ويتركون الأراضي خلفهم صحراء مجدبة، ويعيثون في الأرض فساداً. **(نيرمين صامتة)** هل يستحق نارام سن ملك الملوك أن يلقى مصيراً كهذا؟ **(نيرمين صامتة)** ألم أُذِلَّ الملوك وأُخضع الشعوب، وأفتح المدن المسوّرة وأحرقها؟ لماذا يتخلى نركال الإله عني اليوم؟ **(نيرمين صامتة)** لماذا أنت صامتة يا نيرمين؟ **(تستمر في صمتها)** تكلمي يا نيرمين.. تكلمي يا زوجتي وحبيبتي، حديثك يمنح نفسي الراحة ويمد قلبي بالنور، تكلمي. **(صمت)**.

ملك أكاد يرجوك أن تتكلمي حتى ولو كان في كلامك لوم أو عتاب، وما أظن ذلك، فما أعطيتك لم يعطه أي ملك لحبيبته.

نيرمين : يا نارام..

(*) الكوتيون أو الكاشيون هم سكان الجبال الشرقية في وادي الرافدين ويعتقد أنهم الأكراد الأوائل.

أنت حزين لأن الكوتيين انحدروا من الجبال ودمروا بعض المدن والقرى في مملكة أكاد، وعاثوا فيها فساداً.

تُرى هل يحزن الملك على ما أصاب شعبه وأن شعب هذه القرى قد قتِّل وهجِّر وتشرد، أم يحزن لأن هيبته قد زعزعت، وخسر بعض المعارك؟

يا نارام..

أنت غزوت ممالك مسالمة، ودمرت بلاداً يعيش فيها الناس في أمن واطمئنان: التاجر يقبل امرأته وأولاده ويذهب في الصباح إلى متجره، والفلاح يأخذ محراثه ويذهب إلى حقله، والعامل يأخذ صرة الطعام التي أعدتها زوجته ويحملها معه إلى عمله، والأم ترضع طفلها وتغني له.. كل ذلك أنت دمَّرته وبددته فأيتمت الأطفال، ورمَّلت النساء، وقتلت الرجال، وتركت الشيوخ بلا أبناء يعينونهم على الحياة.

أنت دمرت أرمان وإيبلا ومدناً أخرى كثيرة وأحرقتها وفجعت أهلها، وكل ذلك لترضي طموحك للعظمة وغرورك، واستعراض قوتك الطاغية وشهوتك الغريزية للمُلك والتملُّك.

لماذا لا تسمي أعمالك هذه إفساداً في الأرض؟ ولماذا لا تريد أن تفهم بأن الملك القوي هو الذي يمنح الشعوب التي يحكمها القوة والعزة والأمن ويكون خادماً في تأمين حاجاتها وتحقيق سعادتها؟

يا نارام..

أنا أعلم بأنك تحبني، ولكنني لا أملك أن أحبك. أنا ابنة «أَرْمان»، وأنت الذي قتلت أهلي واستعبدت شعبي، وأجبرت أبي «ريد حدد»(*) ملك أرمان على أن يدير دولاب الماء كما تفعل البغال.

ما هكذا تعامل الملوك يا نارام..!

نارام : لم يتكلم أحد معي بمثل هذه الجرأة والصدق، ولأن قلب المحب كبير فإنني أغفر لك ذلك. أنا أعلم أنك كنت كاهنة معبد حدد، فانظري في السماء واستشرفي لي الغد وكوني صادقة.

نيرمين : **(تنظر إلى البعيد مستشرفة الغيب).**

إني أرى، وأرجو ألا يحدث ذلك، بأن سومر ستعود قوية كما كانت، وأن الكوتيين سيقوى أمرهم.. إني أراهم يسيطرون على البلاد ويعيثون فيها فساداً وتدميراً حتى تزول مملكة أكاد..

لا أدري أيكون ذلك في عهدك أم في عهد أبنائك وأحفادك؟

وستعلو النيران من بابل، وتبسط جناحيها على البلاد.

(*) **حدد**: أحد أسماء بعل، وهو إله حلب، ومختص بالرعود والأمطار، ومعبده مكتشف في قلعة حلب. وريد حدد هو ملك حلب (أرمان اسمها أيام الأكاديين).

ثم يأتي بعدهم أقوام وأقوام، وتكثر الفتن والحروب، وتُسفك الدماء، حتى يجري نهراها المقدسان بالنجيع الأحمر.

اغفر لي جرأتي يا سيدي.

ولكن مجد أكاد في أفول

وتلك هي سنة الحياة وعقوبة الطغيان أيها الملك.

(إظلام)

- المشهد الخامس -

(إضاءة.

المكان : الغرفة نفسها في المشفى المنتجع، نارام يقوم ببعض التمرينات لاستعادة لياقته البدنية. تدخل صوفيا ومعها مسؤول التخطيط).

صوفيا : جئت ومعي مسؤول التخطيط في البلاد، وهو أعلى رجل مسؤول فيها.

مسؤول التخطيط: صباح الخير سيد نارام.

نارام : صباح الخير، هل أفهم من ذلك أنك والي هذه المدينة أو ملكها؟

مسؤول التخطيط: كلا.. لست الوالي ولا الملك، أنا مجرد خادم للناس في عملي.

نارام : لم أفهم! الدكتورة صوفيا تقول بأنك أعلى رجل مسؤول في المدينة وأنت تقول: إنك مجرد خادم للناس!

صوفيا : يا نارام في عين تسنيم لا يوجد ملك ولا رئيس ولا وزير ولا محافظ أو والٍ.

نارام : من رأس الدولة إذن؟

صوفيا : لا توجد دولة أصلاً. لقد ألغينا فكرة الحكومة المركزية في مجتمع عين تسنيم المثالي، وحققنا تقدماً بنيوياً حقيقياً يعتبر أن الحكومة غير ضرورية فالحكومات ليست سوى آلات للطغيان، وعندما ينتهي الطغيان لا تبقى هناك حاجة إلى مثل هذه الآلات.

نارام : ماذا..!؟ إنها الفوضى إذن، كيف تسير الأمور في البلاد؟ **(في ابتسامة ساخرة من الفكرة)** اشرح لي يا مسؤول التخطيط.

مسؤول التخطيط: في عين تسنيم لا توجد دولة، لقد انتهينا من هذه المرحلة وتجاوزناها، وإنما هنالك مؤسسات تعمل وتُسيّر تسييراً ذاتياً، يشرف عليها خُدام اختصاصيون. لقد تخلصنا من مصطلح مدير ورئيس إلى مصطلح خادم، فهنالك مثلاً مؤسسة للثقافة ينسِّق ويشرف عليها خادم الثقافة، وأخرى للتعليم وثالثة اجتماعية ورابعة للعمل.. وهكذا.. ولكل مؤسسة هيئة إدارية تقترح وتخطط وتراقب سير العمل فيها.

نارام : وأنت ما دورك هنا؟

مسؤول التخطيط: أنا المسؤول العام عن التنسيق والتخطيط بين هذه المؤسسات.

نارام : أهلاً بك، بدأت الأمور تتضح لي.

مسؤول التخطيط: لدينا في كل مؤسسة عقل إلكتروني ضخم يحصي ويتابع ويجمع المعلومات ويخزِّنها ويناقشها ثم يعرضها فإذا كان هنالك أي تقدم أو تقصير فإنه يظهره مباشرة. وهذه العقول مرتبطة مباشرة بعقل إلكتروني ضخم جداً موجود في المركز العام للتخطيط حيث أكون أنا مع جماعة الفكر والعمل لديَّ في الخدمة الدائمة.

صوفيا : هذه التجربة نحن قمنا بتصديرها إلى دول الجوار.

نارام : ولكن إذا كان هنالك أي تقصير أو خلل أو إساءة كيف يعاقب صاحبه؟ لا شك أن هنالك شرطة وقضاة ومحاكم وسجون وعقوبات.

مسؤول التخطيط: لا يوجد لدينا شرطة، إنهم أداة للرشوة والفساد، ما من أحد عندنا يخالف النظام، أما المحاكم فأغلقناها لعدم وجود دعاوى، فقد علاها الغبار وعشش فيها العنكبوت، وبالتالي فقد أغلقنا السجون أيضاً.

صوفيا : أنت لم تزل لم تستوعب حجم المتغيرات في مجتمعنا.

نارام : مجتمعكم..؟ أنا مندهش حتى علم النفس والمعالجة النفسية تعمل في مجتمعكم بالمقلوب. حورية جميلة مثلك البدر في تمامه، وديعة وذكية ثم تكون مهمتها في المعالجة إثارة الحزن والخوف والقلق لدى مرضاها.. أمر عجيب..!

صوفيا : **(تبتسم)** هل تدلي برأيك أم تتغزل بي؟

بالنسبة لك فأنا معك مختلفة، لقد حضرت اليوم مع مسؤول التخطيط لأكون جاهزة حين تشعر بالصدمة لما يشرحه لك.

مسؤول التخطيط: اسمع يا سيد نارام، لقد قرأنا تاريخكم بعناية ووجدنا أن من أهم أسباب الفساد والطغيان وغياب العدالة هو وجود الجيش والشرطة والمحاكم وقضاتها المرتشين، وفروع الأمن، والسجون؛ ولهذا فإننا ألغينا هذه المؤسسات الزائفة واستعضنا عنها بوحدات التسيير الذاتي الإلكتروني التي لا تعرف الرشوة ولا القتل ولا قهر المواطن.

باختصار حينما توجد الدولة يوجد الطغيان، ولهذا ألغينا ما تعبدونه في مجتمعاتكم وهو الحاكم الذي ألّهتموه والدولة.

نارام : حسن، يمكن أن أقبل ببعض ما ذكرت، أما الجيش فمن يحمي بلدكم إذا ألغيتم الجيش وهاجمكم أحد.

مسؤول التخطيط: لقد وجدنا أن أغلب الجيوش تستعمل لقهر شعوبها أو الشعوب الأخرى فألغيناه، ونحن كما قلت

نصدر تجربتنا هذه إلى الآخرين، وجميع جيراننا أخذوا هذه الفلسفة مع جوانبها التطبيقية؛ فهم مسالمون.

نارام : ومن قبيل الاحتياط، إذا حدث خطر مفاجئ لم يكن في الحسبان؟

مسؤول التخطيط: إذا حدث ذلك وهذا غير متوقع فإن لدينا وسائط أخرى للدفاع عن وجودنا غير الجيش، وهي أكثر فعالية وتأثيراً، وبالطبع فهي سرية تماماً.

نارام : تقصد حرب النجوم؟

مسؤول التخطيط: كلا.. هي سرية جداً. أما النجوم فهي مجال ارتيادنا واكتشافنا. لقد أرسلنا مركبات فضائية ضخمة إلى كواكب في مجموعات شمسية مجاورة نعتقد أنها صالحة للحياة.

نارام : وهل هي مركبات مأهولة.

مسؤول التخطيط: مأهولة طبعاً، إنها بمثابة بلدات صغيرة متنقلة، وهذا المشروع يرتكز على مبادئ تنمية مستديمة حيث تضم السفينة ذات الاكتفاء الذاتي مواد عضوية كالطحالب، وتربة صناعية تحوي مواد عضوية وتعتمد على الطاقة الشمسية لإنتاج ما تحتاجه من الأطعمة والوقود الحي.

نارام : أليس هذا إغراب في الخيال؟

مسؤول التخطيط: وهل كان ارتيادكم للقمر والمريخ وغيرهما من الكواكب عملاً علمياً أم ضرباً من الخيال؟

نارام: وهل تسير هذه المدن السابحة في الفضاء بسرعة الضوء؟

مسؤول التخطيط: ليس من الضروري ذلك، إنها رحلات بطيئة مادامت أسباب الحياة متوفرة داخل السفينة، وبما أن الرحلة عبر النجوم هي على فترات وقد تمتد حوالي ألف سنة فإن على السفينة أن تجد لها موارد في مواقع في الفضاء خارج الأرض.

نارام : هذا أمر يفوق منطقي وتصوراتي، وعلى ذكر الفضاء ألديكم مؤسسة إعلامية ومحطات فضائية وكيف تعمل؟

مسؤول التخطيط: لدينا الفضاء كله، لقد وجدنا أن أنظمة الإعلام لديكم كانت في خدمة السلطة والأحزاب الحاكمة، أو في خدمة المتمردين عليها، وأنها كانت السبب في تشويه الحقائق وإشعال الفتن والحروب وسيادة الفكر الظلماني، رغم ما فيها من فوائد معرفية وعلمية وفنية لا نستطيع أن ننكرها.

نحن لدينا الفضاء كله، ولدى المواطن عندنا أجهزة تنقله إلى أجواز الفضاء متقصياً أخبار الكواكب بالإضافة إلى أخبار جميع البلاد والشعوب على وجه الأرض، كما أن لها برامجها الفكرية والتعليمية والترفيهية، وهي مؤسسة ذات تسيير ذاتي غير تابعة لأية سلطة.

صوفيا : الإعلام والبرامج الفضائية عندنا تشاركية تفاعلية، يستطيع أي مواطن الحوار والتدخل في الحدث ليكون جزءاً منه، مثل المسرح التفاعلي الذي يكون فيه الجمهور جزءاً من مجموعة العمل على الخشبة.

نارام : دكتورة ألا يمكن لوسائطكم التقنية المذهلة أن تعيدني إلى مجتمعي الأول ؟

صوفيا : كلا.. هذا أمر مستحيل.. ذلك زمن انقضى وفات.

مسؤول التخطيط: **(مبتسماً)** إلا في أفلام الخيال العلمي، ولا أحسب أنك تؤمن بهذه الأفلام كحقيقة وواقع، وآلة الزمن لم يتم اختراعها بعد، مثلما المادة العضوية الحية التي تولد منها الحياة.. هذه من اختصاص الإله وليس البشر.

نارام : وهل تتوقعان أنني يمكن أن أعيش في مجتمعكم هذا؟

صوفيا : ولم لا؟

نارام : ستكون حياة سهلة وتافهة ومملة. وإن كثيراً من حالات الانتحار يكون السبب فيها السأم والملل أو حرارة الصيف المرتفعة أو الضجيج الصوتي، عدا عن الأسباب المعروفة.

(إظلام)

- المشهد السادس -

(إضاءة

نارام يتناول دفتر مذكراته ليقرأ فيه، تضاء شاشة عرض الشرائح الضوئية وتنعكس عليها مشاهد تجمع الناس حول منهل ماء رجال ونساء وأطفال يحملون أوعية الماء المختلفة وهم مرهقون تحت حرارة الشمس اللاهبة، ويفضل أن يكون الرسم بالأسلوب التعبيري، وتنعكس على الشاشة صفحات من مذكرات نارام يقرؤها بصوته، وصوت نارام يمكن أن يكون تسجيلياً).

صوت نارام:

السبت ٢٠١٤/٨/٢٣

- اليوم الخامس والعشرون والمياه مقطوعة عن المدينة، الناس يتجمعون بالمئات تحت لهيب الشمس أمام الآبار الملوثة التي لا تصلح للشرب حاملين أوانيهم.

إنها حرب الإخوة والغرباء والفتنة بينهم، وإنه حصار المدن في التاريخ الحديث، وإنه رمضان: صيام وعطش وجوع ولعنة الدم.

(تُقلب صفحة جديدة)

- عندما يتجرد الإنسان من مكوناته الإنسانية لا يبقى منه غير فرث ودم وغائط وما يتغذى به الدود في القبر.

الثلاثاء ٢٠١٥/٦/٩

(صور متتالية لقرى طينية مدمرة ومهجورة: بيوت وقبب، خالية تماماً من السكان وحتى الطريق ليس فيه كائن حي. تنطبع الكلمات على الشاشة).

- لا شيء غير صمت المقابر على الطريق الصحراوي، والوحشة، والتوجس.

مئات القرى الطينية مهجورة أو لحقها الخراب، وخلت من سكانها. كنت أتمنى في هذه الوحشة والصمت المطبق أن أرى قطة تسير أو كائناً ذا حياة.

إنها الحرب التي لا تبقي ولا تذر ولا ترحم.

الخميس ٢٠١٥/٦/١١

(تقلب صفحة جديدة)

- لأنني مدعو إلى التكريم فقد حجزوا لي غرفة في أفخم فندق في المدينة. أجال ولدي النظر بين رواد الفندق الذين ينثرون النقود بلا وازع وبين فواتير الطعام الباهظة وهو الذي لا يتجاوز راتبه الغذائي صندويشة بطاطا في اليوم وتمتم: يا للكارثة!

عقبت وقلت: منذ زمن طويل وأنا أقول: هذه البلاد مآلها إلى الخراب.

(يستمر عرض صور القرى البلقع وتتتالى صور أحياء خالية وبيوت مهدمة في مدن مهجورة من السكان، وتقلب صفحة جديدة).

- هذه القرية كانت آمنة مطمئنة يأتي أغنياءَها رزقُهم رغداً، وكانت العاصمة الاقتصادية للبلاد، وكان الأثرياء من التجار والصناعيين والمسؤولين يزمِّكون بلاط بيوتهم بخيوط الذهب، أما الفقراء فلا يجدون فيها كفاف عيشهم إلا بشق الأنفس..

ثم .. ثم اندلعت فيها الحرائق.

(مشاهد متتالية لأرصفة مزدحمة بالمارة تنتشر فيها الشحاذات وبسطات البيع، وتقلب صفحة جديدة).

- على الرصيف أم تفترش الأرض وهي تحمل لافتة صغيرة: عندي خمس بنات ولا معيل لهن. وعلى خطوات أخرى امرأة مرضعة مع أطفالها ولافتة: لا أسألكم غير لقمة الأطفال وحليب الصغير.

الطريق طويل والرصيف لم يعد مسلكاً للعابرين وإنما للمستَجْدين رغيف عيشهم ولأصحاب البسطات.

(صورة لمذنب في السماء، وتقلب صفحة جديدة).

- عندما ظهر المذنب هالي وضرب بذيله الجمدي الأرض غمر الثلج والصقيع المدن، ويبست أشجار الزيتون المعمِّرة، ثم ما لبثت الحرب العالمية أن اندلعت.

وعندما ظهر المذنب المعبود وذيله الناري المنضود، اندلعت الفتن والحروب، وانتقض أساس البيت وتداعت جدرانه، فوق سكانه.

(تقلب صفحة جديدة وصورة لبيت مهدم ويستمر صوت نارام في قراءة المذكرات على الشاشة).

- واحدة من قذائف جهنم دمرت لي بيتي وكسرت رجلي، وبقيت في الجبس والمعالجة ستة أشهر، ويسألني الناس كيف حالك فيجيب لساني عني: الحمد لله، في خير حال.

بيني وبين لساني حاجز.. بيني وبين نفسي حاجز.. بيني وبين الناس جدران تحجزني عنهم.. بين المرء وزوجه جدار من الإسمنت المسلح.. والحواجز الجباة في الطرقات سبب بلائنا.

وبيني وبين الله حجاب

اللغة حاجز.. العبارات المحفورة حواجز.. الشعارات البلهاء المتداولة حواجز ..

ويل لأمة مصابة بالفصام الفكري والنفسي ويعيش أفرادها في غباء بين جميع هذه الحواجز.

ويل لمن يغتال وطنه، ويبقر بطن أمه، ثم يجلس على قارعة الطريق يبكي عليها ويستجدي الناس.

(تظلم شاشة العرض).

- المشهد السابع -

نيرون يكتب قصيدة رثاء

(تتغير الإضاءة لتدل على العودة إلى زمن تاريخي معين في الحوار وتصبح إضاءة خفيفة وشاحبة جداً، والشخصيات تعمل من وراء الستارة الشفافة فتبدو كأطياف.

على الشاشة روما تحترق، ألسنة النيران والدخان تتصاعد من كل مكان. السكان في روما الخلفية -روما الفقراء- يهربون من النيران حاملين أولادهم وأمتعتهم، ومنهم من يدفع أمامه على كرسي مدولب والده أو والدته أو جده.

أصوات استغاثات وبكاء وصيحات وضجيج. ومن الواضح أن النيران تندلع في الأحياء الفقيرة فتأكلها أما أحياء النبلاء فهي سليمة ويجب أن يظهر ذلك على الشاشة في المشهد.

وراء الستارة الشفافة نارام يتقدم ويتناول من على المشجب ثياب نيرون يرتديها ويجلس على مرتفع وهو يراقب الحرائق، وتاجه مرمي إلى جانبه، ثم يتناول قيثارته ويبدأ في نظم قصيدة مغناة.

تتلاشى الأصوات ويستمر عرض مشاهد الحرائق بشكل صامت ويبدأ نيرون بالعزف على القيثارة والغناء.

تدخل نيرمين وتنظر إليه ملياً).

نيرون : كانت لنا صلاة

كانت لنا حياة

نورا وناراً ومياه

كانت لنا الخلدَ وفيئاً في الهجيرة

يا أمنا الكبيرة

القلب يحزن

والعين تدمع

وأنت يا شاعرُ في الآلام وحدك

فاعزف مراثيك على قيثارتك

اعزف .. فإن العزف روح الراحلين

نيرمين : أنت حزين يا نارام.

نيرون : من نارام هذا.. أنت دائماً تغلطين في اسمي يا نيرمين.

نيرمين : ماذا تريد أن أناديك؟

نيرون : أنا نيرون الحزين إمبراطور روما.

نيرمين : **(تبتسم)** وهل تظنني لا أعرف؟ أنت تذكرني بنارام سن ملك أكاد الذي دمَّر كل شيء من أجل لا شيء. كان يقول ويردد دائماً:

كل شيء هباء.. كل شيء هالك.. عبث هي الحياة.

نيرون: أما أنا فلا أقول ذلك، لدي هدف كبير في الحياة ولا بد أن أحصل عليه.

نيرمين: وما هو؟

نيرون: القمر.

نيرمين: القمر..!

نيرون: نعم.. أريد الحصول على القمر.

نيرمين: مطلب غريب، وماذا يعني لك الحصول على القمر؟

نيرون: القمر هو معبودي، ومحبوبي، ومقصدي، ومنتهى أملي.

وسيبقى مُلكي ناقصاً إن لم أحصل على القمر.

يا نيرمين ألا تعلمين أنني أسير في الليالي المقمرة بين حقول الذرة وأصعد التلال العالية وأنا أمد يدي إلى السماء أحاول أن أقطف القمر.

نيرمين: كنت تقول من قبل: سيبقى ملكك ناقصاً إن لم تحصل عليّ. وكنت أقول لك: لا تفكر هكذا يا أخي فأنا نيرمين أختك لأبيك وأمك.

نيرون: تعلمين أني أعشقك، وأعلم أنك تحبينني.

نيرمين: هذا صحيح ولكن الآلهة لا ترضى بذلك، فلها قوانينها.

نيرون: وأنا لا أعترف بها ولا بقوانينها، فأنا لي قوانيني، ثم إن أغلب الآلهة تتزوج بأخواتها، فلماذا هو حلال لها وحرام علينا؟ الفراعنة كانوا يتزوجون بأخواتهم.

نيرمين: وحصلت عليَّ فهل اكتمل ملكك؟

نيرون: كلا.. حبك يا نيرمين مرحلة لا بد منها للحصول على القمر. والقمر من غير نيرمين لا يعني لي شيئاً. ونيرمين من غير القمر رحلة بتراء.

(يعزف متنغماً بعبارات غير مكتملة محاولاً إنهاء الأغنية).

نيرمين: ما هذه الأغنية التي تؤلفها، أهي لي؟

نيرون: كلا.. لك يا حبيبتي قصائد الحب، أما هذه فقصيدة رثاء.

نيرمين: ومن ترثي أيها الإمبراطور؟

نيرون: أمي.. ألا ترينني حزيناً أبكيها، غير أن الدموع تحجرت في مقلتيَّ.

نيرمين: يا للهول..! أكاد لا أصدق.

نيرون: لماذا يا عزيزتي؟

نيرمين: أيها الإمبراطور اللغز! أنت قتلت أمك وأمَّنا، دفعت الحربة الطويلة المدببة في بطن التي ولدتك، مزّقْتَ الرحم الذي حنا عليك وأنشأك، ثم أشعلت في جسد أمك

الحرائق. انظر إلى لهب النيران في روما يرتفع إلى عنان السماء.. ثم تأتي الآن لتبكيها وترثيها وتغني على قبرها قصيدتك العاهرة.

نيرون: لا تشتميني يا أختي الحبيبة.. وأنت الوحيدة في الإمبراطورية التي تستطيع أن تقول فيّ ما تريد.

يا نيرمين كان يجب أن أفعل أشياء كثيرة لأحصل على القمر.. ألا تفهمينني؟

نيرمين: يا أخي.. تريد أن تحصل على القمر فتتزوج أختك، وتقتل أمك، وتحرق مدينتك**!؟**

إما أنك ساديٌّ متوحش أو رومانسي منحرف.. فما أنت؟

نيرون: لا هذا ولا ذاك.. أنا نيرون الحزين، الشاعر والمغني الجوال، في قلبي فرح ودموع، قلق وسكينة، قوة وضعف، أمل ويأس، وحزن لا حدود له.

نيرمين: ولكنك قتلت أمك أيها الإمبراطور الذي يدعي الحزن والشعر.. الناس يقولون عنك: إنك لمجنون.

نيرون: لست بمجنون، كان عليَّ أن أفعل ذلك لأحصل على قصيدة مغناة. كان يجب أن أفعلها لأعيش الحالة وأبكيها بصدق فتنداح الدموع أشعاراً وألحاناً، وهذه القصيدة هي سلّمي للارتقاء والوصول إلى القمر.

نيرمين: أيها الإمبراطور..

سيأتي بعدك أباطرة آخرون في الحكم والتجارة والمال والعقيدة، يقتلون أمهاتهم ويتزوجون سفاحاً، ويحرقون أهليهم وبيوتهم..

سيلعنهم التاريخ. ويحملون عارهم إلى أبد الآبدين.

(صمت. يتناول القيثارة ويدندن على أوتارها بإحساس متبلّد).

إني أتركك الآن لقصيدتك الزنيمة..!

(تخرج نيرمين، ويتابع نيرون العزف واستكمال القصيدة المغناة غير متأثر بعبارات نيرمين، وكأن شيئاً لم يكن).

نيرون: قمر أسودْ

قمر أحمرْ

قمر ناءٍ لا يُلمس أو يُقطفْ

لست بساحرْ

لست بمجنونٍ أو عاثرْ

أنا جوّالٌ شاعر

يرثي أمّاً

بدماها يتطهرْ

بدماها يتوضّأُ

يسكرْ

ويداه ملطختانِ

ويبغي أنْ

يتطهرْ

بدماء الأمِ

دمائكمُ

يتوضّأْ

يتطهرْ ..

يتطهرْ..

يتطهّر.

(إظلام)

- المشهد الثامن-

(نارام في غرفته وفي يديه حبل غليظ وهو يتدرب على أنواع من العقد).

نارام : هذه هي العقدة العادية.. إنها لا تصلح **(يعقد الحبل عقدة أخرى)** وهذه عقدة البحارة **(يحلها)** إنها لا تصلح أيضاً **(يعقد ثالثة)** وهذه عقدة الكشافة **(يحلها)** هناك أنواع عديدة من العقد

ولكنني أريد عقدة يكون فيها طرف الحبل حراً بحيث يمكن بوساطته توسيع وتضييق الدائرة **(يشكل الحبل بشكل دائرة لتوضع في العنق كمشنقة)** لا بد أن أصل إلى نوع العقدة المطلوبة.. عليَّ أن أجرب فحسب **(يسمع صوت حركة قادم فيخفي الحبل بسرعة. تدخل صوفيا والمسؤول الاجتماعي).**

صوفيا : صباح الخير، هل نمت جيداً؟

نارام : وهل لديَّ عمل غير النوم؟

صوفيا : سيكون لديك عمل. هذا هو الخادم الاجتماعي المسؤول عن جميع دوائر الشؤون الاجتماعية.

المسؤول الاجتماعي: صباح الخير سيد نارام.

نارام : أهلاً بك، أرجو أن تجد لي عملاً مناسباً.

المسؤول الاجتماعي: سيكون لك عمل مناسب. ماذا كنت تعمل في حياتك السابقة؟

نارام : تقلبت في أعمال عدة، آخرها كان لدي محل للصرافة والتحويل.

المسؤول الاجتماعي: ماذا تقصد بالصرافة والتحويل؟

نارام : استبدال النقود بالقطع الأجنبي وبالعكس.. عملية شراء وبيع. أما التحويل فهو تحويل مبالغ مالية من مكان إلى آخر لقاء عمولة محددة.

المسؤول الاجتماعي: آسف هذه الصنعة لا تنفع هنا.

نارام: لا تنفع! ولماذا؟

المسؤول الاجتماعي: نحن لا نتعامل بالنقود .. لقد ألغينا النقود؛ ولهذا لا يوجد لدينا صرافة ولا بنوك ولا تحويل.

نارام: ولهذا حين بحثت في النت عن موقع أسعار العملات الأجنبية لم أعثر عليه، ولكن هذا غير معقول..! لم أسمع ببلد لا يتعامل أهله بالنقود.

المسؤول الاجتماعي: لم يكن الإنسان البدائي يتعامل بالنقود.

نارام: ولكنكم حضاريون، وفي غاية التقدم فلماذا فعلتم ذلك؟

المسؤول الاجتماعي: أحيل السؤال إلى الدكتورة صوفيا لتجيب، فهي اختصاصية بعلم النفس الاجتماعي.

صوفيا: تبين لنا أنه منذ أن سادت في المجتمعات وفي العالم غريزة التملك كثرت الحروب والفتن والصراعات والجرائم.

لقد ظهر الوجود من لجة العماء بالقتل(*)، وظهرت مظاهر الحياة الأولى بالقتل(**)، وارتبطت حياة الإنسان بالقتل، ولاحظ الإنسان أن استمرار وجوده يعتمد على

(*) إشارة إلى أسطورة مردوخ حين شق تعامة (ربة العماء) إلى نصفين وصنع منها السماء والأرض.

(**) إشارة إلى أسطورة مردوخ حين ذبح كينغو زوج تعامه وجبل دمه بالتراب فصنع الإنسان.

القتل. وكان ارتباط القتل بغريزة التملك ارتباطاً عضوياً. وقد تبين لنا أن النقد هو الأساس الأول للتملك والثراء الفاحش. إذ لم يعد المرء قانعاً بتأمين احتياجاته وحتى أسباب رفاهيته فحسب وإنما راح يكدس الأموال ويستغل الآخرين من أجل مضاعفة ثرواته. وإن أغلب الحروب التي اشتعلت في العالم كانت أسبابها اقتصادية، التملك هو مفجرها. أضف إلى ذلك أنه قد حُلَّت لدينا بإلغائنا التعامل بالنقد جميع مشاكل العمل باعتبار أن الأمة هي المنتج الوحيد لجميع السلع، وقد أحللنا نظام التوزيع المباشر من المخازن الأهلية بدلاً من التجارة وبذلك بطلت الحاجة إلى النقود.

نارام: إذا كنتم قد ألغيتم النقود فبماذا تتعاملون؟

المسؤول الاجتماعي: نتعامل بتبادل السلع أحياناً.

نارام: كالإنسان البدائي تماماً.

المسؤول الاجتماعي: وببطاقات الاعتماد.

نارام: ولكن بطاقة الاعتماد كما هي في بعض الدول المتقدمة لدينا مؤسسة على الشريحة النقدية.

المسؤول الاجتماعي: صحيح. أما بطاقة الاعتماد لدينا فمؤسسة على شريحة العمل.

نارام: وكيف؟

المسؤول الاجتماعي: العمل هو النقد المتداول هنا، والذين يعملون يحصلون على بطاقات اعتماد متنوعة، وليس هنالك من قادر على العمل ثم لا يعمل. والأعمال الفكرية هي أرقى أنواع العمل، ومن هو بانتظار تكليفه بالعمل لديه بطاقات اعتماده، وباختصار لدى كل مواطن بطاقات اعتماد، ويستطيع المرء الحصول أيضاً بهذه البطاقات على ما يريد من أية دولة في أنحاء العالم. إنها بمثابة الشيك أو القطع النادر.

نارام: وكيف يستخدمها؟

المسؤول الاجتماعي: يكفي أن يبرزها أمام أي بائع أو مخزن تجاري أو غير ذلك ويحصل على ما يرغب شراؤه، وتسجل مشترياته في صفحته عند إدخال البطاقة في الآلة الإلكترونية.

صوفيا: وقد أحضرنا لك بطاقات اعتمادك. تستطيع منذ الغد أن تخرج إلى المدينة وتمارس نشاطاتك.

المسؤول الاجتماعي: (يسلمه البطاقات) هذه هي بطاقاتك، وسنهيئ لك العمل الذي يناسبك.

صوفيا: (تسلمه بطاقة منفردة) في هذه البطاقة عنوان البيت الذي ستسكن فيه إلا إذا كنت تفضل الاستمرار في الإقامة هنا وتبقى عزباً، وما أظنك تفضل ذلك.

نارام: شكراً ولكن أرى أنني لن أحتاج إلى البيت.

المسؤول الاجتماعي: إذن ستقيم هنا.

نارام: كلا.. إنني أفكر.

صوفيا: سأمر بك مساء لأصحبك حيث يخرج الناس جميعاً إلى ظاهر البلد كل أسبوع قبيل الغروب يتعارفون ويتسامرون، وبعد مغيب الشمس يؤدون معاً صلاة الشكر ثم يعودون إلى منازلهم. سنصلي وندعو دعوات مشتركة أنا وأنت.

نارام: هل أنتم مجتمع متدين أو متشدد؟

صوفيا: لا هذا ولا ذاك. نحن مجتمع سليم متوازن، فبالإضافة إلى الصلاة الجماعية نحن أيضاً نقيم في الملعب البلدي حفلات رقص وتعارف عامة ترقص فيها النساء متزينات متبرجات أو شبه عاريات لتكنَّ جذّابات ويستطيع الرجال اختيار زوجاتهم، وتستطيع النساء اختيار أزواجهن. كلٌ يُظهر بصدقٍ سلوكَه وحقيقتَه الداخلية ومفاتنَه وحقيقتَه الخارجية، وهذه الحفلات منشطة للجنس وللإقبال على الزواج ولتحسين النسل باختيار كل جنس الأفضلَ من الجنس الآخر. هذا بالإضافة إلى الاختبارات النفسية والطبية والاجتماعية الدقيقة على الزوجين قبل الزواج.

كما أننا للارتقاء بالوعي الجمالي وبالذائقة العامة، ولتهذيب النفوس وصقلها بالموسيقا والجمال أقمنا في بيوت المواطنين غرفاً خاصة تصلها جميع أنواع الموسيقا بالإضافة إلى شاشة تعرض جميع مظاهر الجمال في الكون والطبيعة والإنسان. وهذه أيضاً نوع من العبادة الكلي للجمال غير العبادة التقليدية المعروفة.

المسؤول الاجتماعي: باختصار إن الذي يسود في مدينتنا الفاضلة هو الجمال والحرية والهدوء والسعادة والنساء الفاتنات والرجال الأنيقين. ونحن لسنا دعاة فلسفة مادية فالسعادة لدينا لا علاقة لها بزيادة الإنتاج أو بالتقدم الصناعي.

نارام: هذا أمر مثير!

وصلاة الشكر التي ستقيمونها اليوم كيف هي وما هي؟ وهل تحضرها النساء عاريات أم محتشمات؟

صوفيا: محتشمات طبعاً.. ولكل مقام مقال كما يقولون.

نحن نشكر الله على ما أنعم علينا من أمن واستقرار وعيش طيب وفرح، أما الصلاة فهي مجرد وقفة تأمل وصمت.. نحن نصلي لله ولأمنا الطبيعة المعطاء.

نارام: أمن الضروري أن أخرج معكم؟

صوفيا: نحن لا نجبر أحداً.. المواطن في عين تسنيم يتمتع بالحرية المطلقة.

نارام: كنت أمزح.. هل أرفض دعوة لمصاحبة فاتنة مثلك إلى الخروج!؟

صوفيا: شكراً لإطرائك.. ثم إن خروجك مفيد لك للتعرف على المدينة وأهلها وبخاصة وأنك أصبحت مواطناً فيها.

المسؤول الاجتماعي: أهلا بك مواطنا في عين تسنيم يا عزيزي نارام.

صوفيا: إلى اللقاء مساء.

نارام: إلى اللقاء. **(تخرج ويتلكأ المسؤول الاجتماعي).**

المسؤول الاجتماعي: لاحظت أنك تحب صوفيا.. هل تفكر بالزواج منها؟

نارام: أحبها حقاً، ولكن كيف أفكر بالزواج منها وبيني وبينها دهر طويل، أنا أكبرها بألف عام.

المسؤول الاجتماعي: هي تحبك، وأنت تعقِّد المسألة كثيراًً.

نارام: يا سيدي، كل الذين ناموا وأفاقوا بعد دهر طويل لم يستطيعوا التلاؤم مع المجتمع الجديد فعادوا إلى كهفهم.

المسؤول الاجتماعي: تلك حكايات للعبرة والإيمان يا عزيزي نارام، أما أنت فحقيقة متفردة.

نارام: سأفكر بالأمر.

المسؤول الاجتماعي: الحب لا يحتاج إلى تفكير سيد نارام.

(يصافحه ويخرج).

(إظلام)

- المشهد التاسع -

يتناول نارام دفتر مذكراته ويقرأ فيه صفحات من مذكراته، تضاء شاشة العرض وتنعكس عليها اليوميات ومشاهد مواكبة لها، وعلى زاوية الشاشة العليا تقلب الصفحات).

الأحد ٢٠١٥/٧/١٢

(على الشاشة تعرض جِنان بشكل طبيعة صامتة وأسلوب تعبيري، وألوان باردة تبعث الضجر. نسمع صوته وهو يتلو مذكراته).

- أعتقد أنني أعيش حالة وهم، أو أنني في حلم مستمر.

حلمت أمس أنني نمت ألف عام ثم استيقظت فإذا الدنيا قد تغيرت، وعاد الفردوس المفقود إلى الأرض، فَرِحت، ثم طال بي الزمن وأنا في وضع أقرب إلى السكون واللاحركة، كل شيء موفور، حتى الأشجار دانية القطوف تمد يدك وأنت متكئ فتقطف ما تريد من الثمر، وثمة

كؤوس مترعة، وأنهار من خمر ولبن وعسل مصفّى، وفتيات فاتنات متبرجات وعاريات أصبح منظرهن بارداً مكروراً ومبتذلاً.

لقد فقد الفرح وظيفته وماهيته فصار مملاً مضجراً. حاولت الهرب من هذا الفردوس الخامد، ولكن كان هنالك رجال غلاظ شداد على الأسوار يذبونني بعصيهم.

(على الشاشة خارطة مرسومة بالأسلوب التعبيري مشوهة منطمسة المعالم وقد انتهشت أطرافها، تُقلب صفحة).

- حلمت بجثة تمتد وتمتد فوق السهول والجبال والبحار والأنهار.. تمتد إلى ما وراء حدود النظر. وهذه الجثة تتناهشها الكلاب والذئاب والضباع وأكلة لحوم البشر.

سألت من هؤلاء فأجابني رجل عجوز أعمى عابر سبيل: أيها الغافل عن أمره هؤلاء هم إخوتك، وهذه الجثة هي جثتك، ألا تعلم بأن البشرية منذ أمد طويل وهي تتناسخ وتتماسخ حتى تحول البشر إلى حيوانات مفترسة وقوارض تقودها حيوانات منقرضة عادت للظهور ثانية على سطح الأرض.

(صورة مصباح سحري قديم على الشاشة «سراج من فخار»، وتُقلب صفحة جديدة).

- حلمت بأنني عثرت في موقع أثري على المصباح السحري. تلوت كلمات سرية لقنها لي هاتف مجهول وفركت المصباح فتحرك واهتز وتصاعد منه دخان أسود تكاثف فصار مارداً عملاقاً.

(صورة الدخان ثم المارد على الشاشة، والحوار يتم بين نارام كشخصية حية والمارد كشخصية على الشاشة).

المارد: (في برود وتثاقل) شبيك لبيك عبدك بين إيديك اطلب تُعطَ **(يتثاءب نعساً، ويفرك عينيه ليستيقظ)** من استدعاني وأفسد عليَّ قيلولتي؟

نارام: أنا يا مارد المصباح، ثم إن الشياطين لا تقيل، فهل لك أن تحقق لي ثلاث رغبات كما تقول الحكايات الشعبية؟

المارد: (وقد صحا من نعاسه) ومن غيري يستطيع ذلك؟ أنا الذي بنيت لسليمان قصراً ممرداً من قوارير، وأنا الذي أحضرت عرش بلقيس في طرفة عين، فهات رغباتك الثلاث يا صاحبي.

نارام: يا مارد المصباح، أحلم أحلاماً غريبة وتنتابني الكوابيس، حتى ما عدت أفرق بين الحلم والحقيقة للشقاء الذي يلازمني، أريد أن تصلح لي العالم وينتهي الفساد والإفساد في الأرض لأستطيع النوم بلا كوابيس.

المارد: ما ذلك في يدي يا صاحبي، ألم تعلم بأن الله أرسل آلاف الرسل والأنبياء والحكماء ليصلحوا العالم، وكانت النتيجة أن هذا العالم يزداد سوءاً.. هات الثانية.

نارام: أريد إذن أن تدمر هذا العالم لأنه شاخ وهرم، ولأتخلص من شقائي وكوابيسي ويتخلص الناس من بؤسهم وشقائهم.. لقد فسد هذا العالم وأنتنت جثته.

المارد: وليس ذلك بيدي أيضاً، كم من مرة دمر من هو أقوى مني القرى لفسادها وضربها الرب بالطوفان ليطهر الأرض ومن عليها، فكان الفساد سرعان ما يعود إليها من جديد.. هات الثالثة.

نارام: إذن أريد أن تطلعني على الغيب فأنتم المردة ترتقون إلى السماء الدنيا وتسترقون السمع عن بعض ما يجري في السماء السابعة وما سيجري على الأرض.

المارد: وليس ذلك بيدي أيضاً، فمنذ أن وضع الله الشهب الثاقبة رصداً لملاحقتنا وإحراقنا ونحن لا نستطيع أن نسترق السمع.

ماذا تريد غير هذا لأحققه لك؟

نارام: قبحك الله من مارد فاشل، أريدك أن تغرب عن وجهي أيها العاجز.

(تختفي صورة المارد من على الشاشة، وتعود فتنطبع الذكريات عليها).

- عادت فكرة الانتحار تراودني وأنا أرى كل الطرق التي تؤدي إلى السلام وعودة الحياة إلى ما كانت عليه مغلقة.

(تقلب صفحة جديدة).

الجمعة ٢٠١٥/٧/١٧

- لا بد من تشييع عدد من القتلى يومياً، وصار اسم الشهادة يتردد مع كل شهيق وزفير حتى فقد معناه، والجميع مهدد بالتهجير والجوع والموت على الأرصفة، وأنا أحمل همّي وهمَّ هذا البلد المنكوب. وصدق الشاعر الذي جاء قبل ألف سنة حين يقول:

تعبٌ كلها الحياةُ فما أعجب إلا من راغبٍ في ازدياد

إن حزناً في ساعة الموت أضعا فُ سرور في ساعة الميلاد(*)

(تُقلب صفحة أخرى من المذكرات).

(*) المعري.

- ليلة أمس وكان القمر في المحاق حلمت بأنني ملك أشور يجر عربتي أحد عشر ملكاً ممن داست بلادهم جيوشي.

(تظلم شاشة العرض).

- المشهد العاشر -

النمرود ورقصة النار الأفعوانية

(تتغير الإضاءة لتدل على العودة إلى زمن تاريخي معين في الحوار وتصبح إضاءة خفيفة وشاحبة جداً، والشخصيات تعمل من وراء الستارة الشفافة فتبدو كأطياف.

نيرمين من خلف الستارة ترقص رقصة النار الأفعوانية.؟

يدخل نارام، يتوقف ويتابع الرقصة بإعجاب).

نارام: أحسنت يا نيرمين، إنـها رقصة رائعة.

نيرمين: يسرني أنها أعجبتك يا نارام.. إنها رقصة النار الأفعوانية.

(يتجه نحو المشجب ويتناول الثياب التاريخية ويرتديها، يضع التاج على رأسه يمسك برمحه الطويل وبالصولجان، ويجلس على العرش، إنه الآن في شخصية النمرود ملك آشور).

النمرود: **(ينظر إليها بصمت)** ومن نارام هذا يا نيرمين، أنت تتعمدين الخطأ في اسمي.

أنا النمرود ملك آشور، ولي الأسماء الحسنى كلها.

نيرمين: للرب وحده الأسماء الحسنى كلها.

النمرود: ومن أكون أنا إذن؟ الرب يحيي ويميت وأنا أحيي وأميت، الرب يرزق الناس أو يفرض عليهم الجوع، أنا أرزق من يطيعني وأحرم من يعصيني.

نيرمين: **(تبتسم)** مهلاً أيها الملك، هذا كلام تقوله للقطيع فيتبعونك ويعبدونك. الرب أيها الملك يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب إن استطعت.

(النمرود يبهت ويظل صامتاً).

النمرود: لولا أنني مفتون برقصك يا نيرمين لأمرت بسلخ جلدك.

نيرمين: هذا ليس برقص وإنما هو تعبير بالجسد وابتهال وعبادة. عندما تعجز الكلمات عن التعبير عن الأفكار والعواطف فإن للجسد بيانَه ولغتَه وسحرَه وابتهالاتِه.

النمرود: أنا مفتون بالجسد فقط، بكل تقاطيع الجسد، ولا تهمني لغة الجسد.

أريد رقصاً بلا تعبير ولا فلسفة، رقصاً شبقاً يهيج الغريزة. ارقصي لي مثل هذه الرقصة ومريني أن أقطع لك رأس من تريدين.

نيرمين: لا يوجد في نينوى الآن أنبياء لتقطع رؤوسهم، ولست كتلك الراقصة العاهرة سالومي التي طلبت من الملك قطع رأس النبي يحيى.

النمرود: **(يضحك)** أنا أهوى بناء المحارق أما قطع الرؤوس فقد تركته للملوك الصغار. الآلهة وحدها تحرق بالنار وأنا أحرق بها. لقد بنيت محارق جميلة في نينوى(*) وبنيت محارق عديدة في سورية: محرقة في كركميش وأخرى في شبات إنليل، أما الثالثة فبنيتها في حرّان(**)، وأعجزني رجل هناك اسمه أبرام يدعي أنه نبي، ومن الغريب أنه جلس وسط المحرقة والنيران مشتعلة وراح يأكل رغيفاً من الخبز كان في جيبه وهو يسخر منا.

نيرمين: لعله نبي فعلاً.

النمرود: كلا.. أظنه ساحراً.

نيرمين: ليس بساحر، لقد تقصيت أخباره.

النمرود: **(ساخراً)** بماذا تقصيت أخباره؟ بجسدك الفاتن يا نيرمين، أم برقصك الداعر؟

(*) نينوى عاصمة آشور في العراق.

(**) كركميش(جرابلس)، شبات إنليل (على الخابور)، حران في جنوب تركيا حالياً، وجميعها مدن سورية.

نيرمين: أنت تسخر من جسدي ورقصي**!** ألا ترى أن الكواكب والنجوم وكل ما في الكون تصلي بأجسادها وأجرامها، وترقص بدورانها وسعيها أمام معبودها ومحبوبها، يحركها العشق الأزلي؟ ولو توقَّفَت عن الرقص والسباحة في أفلاكها لحظة لانهار نظام الكون.

النمرود: **(مستمر في السخرية)** ما كنت أعلم أنكِ قد أوتيت الحكمة مثل كهنة آشور.

وهل صوتك جميل أيضاً كرقصك.

نيرمين: نعم هو جميل أيها الملك.

النمرود: **(ساخراً)** لماذا لا تأخذين إذن مكانك أيضاً مع أورنينا مغنية معبد عشتار؟

نيرمين: لا تسخر أيها الملك، فأنا أيضاً مغنية في المعبد، وصوتي أجمل الأصوات، ولكنك عندما تزور المعبد فإنك لا تستقبله بقلبك ولا بعينيك؛ فأنت تدخل المعبد بعد كل غزوة تغزوها لتصلي لعشتار ويداك مضرجتان بدماء.. تدخل بكل خيلائك وقسوتك فلا تحس ولا ترى ولا تسمع.

النمرود: إن لم تكفّي لسانك الطويل أمرت بإحراقك أيتها العاهرة.

نيرمين: تعلم أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك فأنا منذورة لمعبد عشتار.. وأنا.. أنا عشتار..أنا عشتار أيها الملك.

(صورة عشتار على الشاشة).

(يتصاعد دخان خلال إنشاد المقطع التالي وتسيطر المهابة على الجو والجزع في عيون الملك.

ونيرمين تؤدي المقطع التالي بإيقاع ترتيلي وطقس جليل مع الصدى).

أنا الأول .. وأنا الآخر

وأنا البغيّ .. وأنا القديسة

وأنا الزوجة .. وأنا العذراء

وأنا الأم .. وأنا الابنة

أنا العاقر .. وكثيرون هم أبنائي

أنا في عرس كبير .. ولم أتخذ زوجاً

أنا الحامل .. ولم أنجب أحداً

وأنا المولودة .. ولم تحبل بي أمي

وأنا الأم .. وأنا الابنة

أنا العروس.. وأنا العريس

وزوجي هو من أنجبني

أنا أم أبي .. وأخت زوجي

وزوجي هو من نسلي(*).

النمرود: نعم.. أعلم يا نيرمين أنك من بغايا المعبد، وأنك أكثرهن جمالاً وجاذبية، وأنت المسؤولة عنهن. وأعلم أنك في طقوس المعبد وأعياده تمثلين دور عشتار التي تقتل تموز بنظرة منها وترسله إلى عالم الموتى ثم تنهض فتحييه.

نعم أعلم ذلك ولولا أنك مقدسة لأمرت بـ ..

نيرمين: لأمرتَ بإحراقي!

هون عليك أيها الملك النمرود، فالقوي ليس الذي يأمر بإشعال الحرائق وإنما هو الذي يأمر بإطفائها. والملك العظيم ليس الذي يسلخ جلود الأسرى كما تفعل أشور وإنما هو الذي يأمر بإخلاء سبيلهم وعودتهم إلى أهلهم. والملك العادل ليس الذي يقتلع شعوباً بأكملها كما تفعل أنت ويرميها في العراء ليحل محلها شعوباً أخرى وإنما هو الذي يمنح جميع الشعوب الأمن والاستقرار وكفاف عيشهم.

(*) من تراتيل عشتار لحبيبها تموز بتصرف.

النمرود: ولكن أيتها البغيّ المقدسة بقسوتي وشدتي وحزمي في الحكم أضمن عدم تمرد هذه الشعوب. لقد كان لي جيشان: جيش من الرعب يسبقني إلى العدو، وجيش من آشور والقبائل الأخرى يسير معي بسلاحه وعتاده وهنا يكمن سر انتصاراتي حتى وصلت البحر وخضت مياهه بفرسي واحتللت الجزر البعيدة، وأخضعت الشعوب القوية من أرض عيلام إلى جبال الأرز.

نيرمين: هي مملكة قائمة على الوهم والظلم والقهر وإخضاع الشعوب الآمنة. لقد جزت بغزواتك ما بين المشرق والمغرب، وملكت العالم، لكنك لن تستطيع أن تديره ولا أن تدبر أمره، وسينهار كل شيء بعد جيل أو جيلين، وستغدو مملكتك مجرد درع حديدي غليظ صدئ داخله جثة متفسخة.

كلما امتدت مملكتك واتسعت ازداد أعداؤك والمتمردون عليك لأن مملكةً تقوم على القسوة وإذلال الشعوب لا يمكن أن تستمر. لو أن قلبك لم يكن قاسياً لعرفت كيف تكسب ود أهلك والشعوب الأخرى.

النمرود: أعترف بأن قلبي قاس كالصخر وتلك هي تربية الملوك. كيف لي أيتها الفاضلة أن يكون قلبي عذباً كالفرات رقيقاً كالنسيم؟

نيرمين: تستطيع ذلك بالمواظبة على السماع: الموسيقى والغناء.

النمرود: أحن إلى السماع، ولا تنسي أن جزءاً مني مقدس فأنا ابن بغي من بغايا المعبد، وتلك التراتيل المقدسة كنت أسمعها وأنا في رحم أمي.

نيرمين: هل تريد أن أسمعك شيئاً من الغناء والموسيقا.

النمرود: أود ذلك أيتها المقدسة، ولكن كفّي لسانك الطويل عنّي يا نيري.

نيرمين: **(تتناول القيثارة وتبدأ بالعزف)** سأغني لك فالغناء يجلو البصائر ويفتح الأعين على المصائر، وبه وبالموسيقا تتهذب طباعك أيها الملك.

(تعزف وتغني).

غداً يا ملك آشور القوي

يظهر أمامك مارد أسود معتم الوجه

ملامحه كطائر الزوو(*)

ومخالبه كمخالب العقاب

(*) طائر الزوو: طائر أسطوري متحجر، يستيقظ كل مائة عام مرة واحدة ليدمِر العالم.

يثب عليك

فيتمكن منك

ثم يغوص بك في أعماق الجحيم

- افتح يا حارس البوابة

- افتح الباب يا نيتي

- افتح يا كبير حجاب العالم الأسفل

- لقد جئتك بمَلِك آخر

- لقد خلع أمام بابك تاجه وصولجانه ودرعه وسيفه وثيابه حتى أصبح عارياً تماماً كما ولدته أمه.

- افتح يا نيتي.. افتح

وعندما يصر الباب

يا ملك آشور القوي

سيقوم المارد الأسود بتحويل شكلك

فذراعاك سيكسوهما الريش

ثم يقودك إلى بيت الظلام

إلى مسكن أرجالا

إلى دار لا يرجع منها داخل أبداً

وسيقوم زبانيتها بتعليقك كخرقة بالية
على مسمار في جدار عالم الظلمات(**).

(إظلام)

- المشهد الحادي عشر -

(في غرفة نارام في المشفى صوفيا ومسؤول التخطيط والمسؤول الاجتماعي يفحصون في جوانب الغرفة يحاولون الحصول على أية معلومات مفيدة حول اختفاء نارام).

مسؤول التخطيط: هل وجدت شيئاً لعله يفيدنا عن مكان وجوده؟

صوفيا: كلا.. هذا فنجان قهوته بارد وجاف يدل على أنه غادر الغرفة منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة.

مسؤول التخطيط: (يفحص ملفات في الآيباد) يبدو أنه كان يستعرض بعض البرامج لفترة من الزمن.

صوفيا: (تبحث في بعض الأدراج) لقد اختفى دفتر مذكراته.

المسؤول الاجتماعي: (يستعرض بعض الصور في حاسب يدوي صغير محمول) الصور التي التقطتها كاميراتنا المخفية في الغرفة تفيد بأنه خرج من الغرفة في الخامسة

(**) عن مقالة أنكيدو في ملحمة جلجامش بتصرف.

صباحاً ولم يعد، وها هي صورته **(يتجمعان حوله ليتابعا الصورة)** وهو يحمل دفتر مذكراته معه ويضعه في جيبه ثم يجلس ويكتب شيئاً في صفحة منفردة ويضعها في جيبه.. يبدو أنه كتب رسالة ما.. لا أدري لمن.. يبدو أنه غيَّر رأيه، هاهو يخرجها من جيبه ويرميها في سلة المهملات.

(صوفيا تسرع إلى السلة وتفرغها على الطاولة وتتناول منها قصاصة ورق).

صوفيا: ها هي الرسالة **(تقرأ)** شكراً لحسن الضيافة والرعاية، ولكن يبدو أن حضارتكم العظيمة لم تتخل عن تجسسها على مواطنيها.

(الجميع يتبادلون النظر بصمت ودهشة، صوفيا تسلم الرسالة إلى المسؤول الاجتماعي وتنظر إليه باتهام وغضب).

المسؤول الاجتماعي: كان يجب أن نفعل ذلك، هذه ضرورات الأمن الوطني **(صمت)**. على كل هنالك فقرة خاصة بك **(يقرأ)** أجمل وأصدق ما في مدينتكم هي الدكتورة صوفيا، ولولا أنه يفصلنا عن بعض ألف عام لكان للقلب شأن آخر.

(يرن جرس هاتف صوفيا الجوال، تضغط على المايك الخارجي ويسمع صوت رجل الآثار).

صوت مسؤول الآثار: (صوته فقط) ألو دكتورة صوفيا معك خادم الآثار.

صوفيا: أهلاً بك، هل من أخبار حول السيد نارام؟

صوت مسؤول الآثار: لقد وجدنا آثار السيد نارام، يبدو أنه جاء إلى هنا، إلى الموقع الأثري الذي عثرنا فيه عليه.

دكتورة صوفيا إنه غير موجود يبدو أنه انتحر، حبل المشنقة ما يزال معلقاً في سقف الغرفة غير أن الجثة اختفت.. أمر غريب حقاً.

دكتورة صوفيا ثمة أمر آخر ويدعو إلى الدهشة حقاً.

صوفيا: وما هو هذا الأمر؟

(يظلم المسرح وبقعة ضوء على رجل الآثار يتحدث في الهاتف يمين المسرح على خط المنظر).

مسؤول الآثار: ظهر رجل آخر في المكان نفسه، يبدو أنه نائم أيضاً أو في حالة إغماء. أو في حالة سبات شتوي طويل، لا نستطيع أن نقدر كم مضى عليه وهو في هذه الحالة، ولكنه حي بالتأكيد بالرغم من أنه يتنفس ببطء

شديد، وقلبه ما يزال ينبض نبضات ضعيفة متباعدة جداً، لكن جسمه لا يتحرك، حاولنا إيقاظه فلم نستطع.

لقد قدرنا أن في الأمر شيئاً نفسياً أو فيزيولوجياً أو أمراً لم نستطع تقديره ولهذا اتصلنا بك دكتورة صوفيا، واتصلنا بأطباء وباختصاصين علميين آخرين.. عفوا.. تسألين عن عمره..؟.. هو رجل في حوالي الخامسة والثلاثين، حتى الآن لم نجد معه ما يثبت هويته.

لقد قمنا بنقله مع محتويات غرفته إلى المشفى في غرفة خاصة في انتظار قدومك.. شكراً دكتورة.

نحن بحاجة إليك، أرجو أن تحضري.

- ستارة النهاية -

حلب ١/شوال/ ١٤٣٦

١٧/تموز/٢٠١٥

فهرس

الصفحة

صدر للمؤلف

الأعمال المسرحية:

- مولد النور. **(ملحمة حوارية شعرية) حلب ١٩٧١.**
- **ثلاث صرخات.** (ثلاث مسرحيات: هل قتلت أحدا. الليل جزار. الشتاء يأتي مبكرا). حلب ١٩٧٦.
- **السيد. مطبعة المعري. حلب ١٩٧٧.**
- **القيامة.** (ملحمة حوارية شعرية) دار النفائس. بيروت ١٩٨٠.
- **صناعة الأعداد. وهبوط تيمورلنك (مسرحيتان)** دار ابن رشد. بيروت ١٩٨٠.
- **عرس حلبي وحكايات من سفربرلك.** وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.
- **ليال مسرحية.** (مسرحيتان: صعود العاشق. القناصة) اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.
- **اختفاء وسقوط شهريار.** اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٧.
- **مسرح الريادة.** (دراسات مسرحية) دار الأهالي. دمشق ١٩٨٨.
- **أحمد أبو خليل القباني رائد المسرح العربي.** مهرجان الأغنية السورية - وزارة الإعلام دمشق ٢٠٠٤.

- **نصوص من المسرح التجريبي الحديث**: (ثلاث مسرحيات: طفل زائد عن الحاجة. باب الفرج. اللحاد) اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠١.
- **مدينة من قش وفانتازيا الجنون** (مسرحيتان) اتحاد الكتاب. دمشق ٢٠٠٣.
- **سفر التحولات.** دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة (الإمارات) ٢٠٠٤.
- **علي بابا والأميرة شمس النهار.** (وأوبريت قلعة حلب - للأطفال) وزارة الثقافة . دمشق ٢٠٠٤.
- **سيد الوقت الشهاب السهروردي**: وزارة الثقافة. دمشق ٢٠٠٦.
- **ميشو ومارد الغابة.** (للأطفال) ضمن مجموعة نصوص مسرحية دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة ٢٠٠٥.
- **جثة في المقهى.** (ثلاث مسرحيات: جثة في المقهى. تشظيات ديك الجن. كفر سلام) اتحاد الكتاب ٢٠٠٦.
- **سحر المسرح.** (دراسات في المسرح) وزارة الثقافة. دمشق ٢٠٠٧.
- **هو الذي رأى الطريق** (ثلاث مسرحيات: النسيمي هو الذي رأى الطريق - بوح القصب جلال الدين الرومي - شيخوخة مبكرة) اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٨.
- **أوبريت الإسكافي وحوار ديموقراطي جداً.** (مسرحيتان) اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٩.
- **المسافر والطريق.** (تسع مسرحيات) الهيئة السورية العامة للكتاب - وزارة الثقافة. دمشق ٢٠٠٩.

- **سندباد في جزيرة الأنغام** (ثلاث مسرحيات للأطفال: سندباد، ميشو ومارد الغابة، الشجرة المسحورة)، الهيئة السورية العامة للكتاب - وزارة الثقافة. دمشق.

- **ليلة الحجاج الأخيرة** (أربع مسرحيات: ليلة الحجاج- الفصل الأخير - أحلام الموتى- ليلة عاصفة) اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠١٠.

- **الفصل الثالث والبيت يهتز** (مسرحيتان) الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة. دمشق ٢٠١١.

- **المسرح الحديث الخطاب المعرفي وجماليات التشكيل.** اتحاد الكتاب العرب. دمشق- ٢٠١٢.

- **الغائصون** (ثلاث مسرحيات: الغائصون. في انتظار السيد. وادي العقيق). وزارة الثقافة. دمشق- ٢٠١٤.

- **على الرصيف** (ثلاث مسرحيات: على الرصيف، مذكرات الأبتر، الإنسان والجبل) اتحاد الكتاب ٢٠١٤.

- **الجد الأكبر** (ثلاث مسرحيات: لا شيء في الحديقة، الجد الأكبر، مقهى الجثث المعلقة) اتحاد الكتاب العرب ٢٠١٥.

نصوص شعرية ونثرية:

- **مسافر إلى أروى.** وزارة الثقافة ١٩٩٤ دمشق.
- **سيدة الحروف.** اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩ دمشق.

في الرواية:

- **معراج الطير الحبيس.** نص روائي. اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٤ دمشق.

قصص الأطفال

- **مسلسلة أحاديث وقصص.** (عشر قصص). دار الكتاب. حلب ١٩٧٧.
- **مسلسلة حكايات البراعم.** (١٨ قصة). دار الأندلس. بيروت ١٩٨١.
- **مسلسلة الطفل السعيد.** (خمس قصص). دار الأندلس. بيروت ١٩٨١.
- **مسلسلة أحسن القصص.** (تسع قصص). دار النفائس. بيروت ١٩٨١.

التراجم والدراسات الفكرية والموسوعية

- **خير الدين الأسدي. حياته وآثاره.** الإدارة السياسية للجيش. دمشق ١٩٨٠.
- **أمين الجندي.** وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٨.
- **ياقوتة حلب عماد الدين النسيمي.** اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩١.
- **مدخل إلى علم الجمال الإسلامي.** دار قتيبة. دمشق ١٩٩١.
- **أحياء حلب وأسواقها.** (تحقيق وتأليف) وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.
- **حلب القديمة والحديثة.** مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٩٠.
- **الموسيقار أحمد الإبري.** مهرجان الأغنية السورية- وزارة الإعلام. دمشق ١٩٩٩.
- **أمير الموشحات عمر البطش.** مهرجان الأغنية السورية. دمشق ٢٠٠٥.
- **الموشحات والأغاني الدينية في حلب.** مؤسسة البابطين الشعرية الكويت ٢٠٠٦.
- **نصوص ودراسات في الشعر الشعبي الغنائي.** الهيئة السورية العامة للكتاب - وزارة الثقافة. دمشق ٢٠٠٩.
- **السهروردي مؤسس الحكمة الإشراقية.** الهيئة السورية العامة للكتاب- وزارة الثقافة ٢٠١٣.

الطبعة الأولى / ٢٠١٧م

كلمة الغلاف

ثلاث مسرحيات من المسرح التجريبي الحديث تتناول في محاورها:

- غريزة التملك ودورها في نشوء العنف في أوطان تمزقها الصراعات ولا أحد يصغي لنداءات الأم الكبرى، إنها وليمة الشيطان.

- ولهذا كان بحث البشرية الدائم عن يوتوبيا سحرية تعيد إليها فردوسها المفقود، وعليها أن تصلي آملة بالعودة المستحيلة.

- كما تتناول المرأة في تاريخها ولغتها وطموحاتها، والمرأة دائماً في هذه النصوص الثلاثة تأخذ مكانها في لوحة الحياة، لتكون لمسة الدفء والحنان في هذا القلق الوجودي الذي تعيشه الإنسانية النازفة.